العلمانية وخطرها على المجتمعات الإسلامية

إعداد

د. جمال فؤاد خليفة

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين ـ أسيوط

العلمانية وخطرها على المجتمعات الإسلامية

جمال فؤاد خليفة محمد

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، أسيوط، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: gamalfoaadelkady@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان خطورة التيار العلماني وما يحمله في طياته من الابتعاد عن الدين وضوابطه وتشويهه في نفوس أبنائه، وكذلك إظهار ما يتميز به الإسلام من شمول لحياة الإنسان لا تتوفر في أي مذهب أو نظام آخر، كشف زيف العلمانية ومنهجها ومبادئها التي تدعو إلى تطبيقها في المجتمع الإسلامي، وكذلك لفت أنظار المسلمين إلى خطر العلمانية على الدين والمجتمع. وقد اعتمدت في بحثي على المنهج التاريخي الاستردادي في محاولة استنطاق التاريخ لمعرفة كيفية بداية العلمانية في الغرب وازدهارها وعوامل انتقالها إلى العالم الإسلامي، ووسائل تأثيرها فيمن يتحمسون لها، كما اعتمدت أيضاً على المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي، حيث أقوم بوصف الظاهرة العلمانية وتحليلها واستنباط ما يلزم لفهم آثارها ومسبباتها ومظاهرها. وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج من أهمها أن العلمانية ترفض الأديان ولا تتقيد بها، فمهوم العلمانية يعني ما ليس دينياً، بل وهو نظام يرفض كل ما هو ديني، وأن نشأة العلمانية جاءت لظروف في المجتمع الغربي مثل تحريف الكنيسة للدين، وطغيان رجال الكنيسة، حتى وصل بهم الأمر لإصدار صكوك للغفران، كذلك محاكم التفتيش التي تحكمت حتى في التفكير، وأن العوامل التي ساعدت على انتقال العلمانية للمجتمعات الإسلامية تمثلت في نهضة أوربا مع العلمانية مما نتج عنه الإعجاب بالعلمانية والانبهار بها، وتخلف المجتمعات الإسلامية، والاستعمار العسكري وما أعقبه من سقوط الخلافة، والهزيمة النفسية لدى المسلمين، وكذلك الغزو الفكري والاستعمار الأوربي للمجتمعات الإسلامية، وأن الإسلام يرفض العلمانية، ولا يلتقي معها في مبادئها أو أهدافها، لقد جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد أربعة مباحث وخاتمة، تناولت في المبحث الأول نشأة العلمانية في الغرب ومراحلها، وفي المبحث الثاني تناولت انتقال العلمانية إلى البلاد الإسلامية، وغي المبحث الثالث تناولت مجالات نشر العلمانية وأثارها على المجتمعات الإسلامية، وتناولت في المبحث الأخير موقف الإسلام من العلمانية، ثم عرضت بعد ذلك لأهم النتائج والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: تبشير, خطر, مسلمين, غزو, العلمانية

Secularism and its danger to Islamic societies

Jamal Fouad Khalifa Mohamed.
Department of Da`wah and Islamic Culture, Faculty of Asol Udin, Al-Azhar University, Assiut, Arab Republic of Egypt.
Email: gamalfoaadelkady@gmail.com

Abstract:

This research aims to clarify the danger of the secular trend and what it carries from moving away from religion, its controls and distorting it in the hearts of children, as well as showing what is characterized by Islam in terms of the comprehensiveness of human life that is not available in any other doctrine or system, exposing the falsehood of secularism and its approach and principles that call for its application. In the Islamic society, as well as drawing the attention of Muslims to the danger of secularism to religion and society .In my research, I relied on the historical-retrospective method in an attempt to interrogate history to know how secularism began in the West, its prosperity, the factors of its transmission to the Islamic world, and the means of its impact on those who are enthusiastic about it. Its effects, causes and manifestations. Through this research, I reached a set of results, the most important of which is that secularism rejects religions and does not adhere to them. Churchmen, until they had the matter to issue indulgences, as well as the Inquisition, which controlled even thinking, and the factors helped the transition of secularism to Islamic societies were represented in the renaissance of Europe with secularism, which resulted in admiration and fascination with secularism, the backwardness of Islamic societies, and military colonialism, etc. It was followed by the fall of the Caliphate, and the psychological defeat of Muslims, as well as the intellectual invasion, European colonization of Islamic societies, that Islam rejects secularism, and does not meet with it in its principles or goals. The research plan came in an introduction and preface to four sections and a conclusion. In the first section, it dealt with the emergence of secularism in the West and its stages, in the second section, it dealt with the transfer of secularism to the Islamic countries. Secularism, and then presented the most important results and proposals.

Keywords: Evangelism, Danger, Muslims, Conquest

مُقَدِّمَة

" إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}[(١)]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[(٢)]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[(٣)].[(٤)].

أما بعد ....

---

(١) سورة آل عمران آية (١٠٢) .

(٢) سورة النساء آية (١) .

(٣) سورة الأحزاب آية (٧٠) ..

(٤) من خطبة الحاجة التى كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصدر بها خطبه، أخرجها الإمام أحمد في مسنده عن سيدنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٦٣/٦، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

فإنه لما كان المسلمون يجمعهم كتاب ربهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتجمعهم سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانوا أمة واحدة قوية عزيزة ورائدة.

ولكن لما اتصلت هذه الأمة بالأمم الأخرى ذات الأنماط الحضارية المختلفة، فإن هذه الأمة قد تأثرت بما عند غيرها من الأمم من ثقافات متعددة، وأفكار متنوعة، وخاصة الغرب بالذات لما فيه من التقدم المادي والعلمي، حتى نشأ في الأمة الإسلامية بعض من النشء حسب أن السير على منهاج هذه الأمم، والنسج على منوالها فيما هي عليه من هدى أو ضلال هو عين التقدم وفيه الخلاص مما يعاني منه العالم الإسلامي من تخلف وجهل ومرض وفساد وغيرها من الأمراض التي أصابت العالم الإسلامي.

وصار هؤلاء المتأثرون يصدعون بدعوتهم للانقياد لما عليه تلك الأمم من ثقافات وعادات وتقاليد، مفيدة كانت أم غير مفيدة، تتماشى مع واقع الأمة الإسلامية وما هي عليه من شرائع أم لا تتماشى.

وكان من ضمن هذه التأثر الخطير المناداة بتقليد الغرب فيما يسير عليه من مناهج تعزل الدين عن المجتمع، وتحصر الدين في دور العبادة لا ينطلق خارجها، فللمتدين أن يتعبد كما يشاء في دور عبادته، ولكن أن يعبر الدين إلى المجتمع خارجا فهذا هو الخطر بعينه، ونسي هؤلاء المتأثرون من المسلمين أن الغرب عانى من سيطرة رجال الدين والكهنوت حتى ضج الناس من جشعهم وطمعهم وظلمهم، فتخلصوا من ذلك كله بشرارة الثورة الفرنسية ١٧٨٩م، نسي هؤلاء أن الإسلام ليس فيه ما يدعون، وأن الإسلام

وثيق الصلة بحياة الإنسان ينظمها بعدل وإنصاف مع حرية منضبطة بشريعة الله، ومساواة للجميع أمام ربهم.

وأراد هؤلاء المتأثرون أن ينقلوا هذا التيار الفكري الغربي المسمى بالعلمانية إلى المجتمع الإسلامي، وبالفعل فقد تأثر بهذا التيار الكثير من المسلمين حتى صاروا صرعى له، لا يجدون النجاة إلا في سفينته، ولا يرضون بقيادة أحد إلا ربانها، وصار لهذا التأثر مظاهر في بعض المجتمعات الإسلامية، التي ذهبت تتحسس طريق العلمانية علها تجد فيه طريق التقدم الذي تنشده.

وكوني واحدا من طلاب العلم وجنديا في كتيبة الدفاع عن الإسلام ورد كيد الطاعنين، أردت أن أسهم في رد هذا العدوان على المجتمعات الإسلامية، فكان هذا البحث وتلك الدراسة التي جاءت تحت عنوان:

"العلمانية وخطرها على المجتمعات الإسلامية"

أسباب اختيار الموضوع:

كان من وراء أسباب اختياري لهذا الموضوع والكتابة فيه عدة أسباب ألخصها فيما يلي:

أولا: بيان خطورة التيار العلماني وما يحمله في طياته من الابتعاد عن الدين وضوابطه وتشويهه في نفوس أبنائه.

ثانياً: إظهار ما يتميز به الإسلام من شمول لحياة الإنسان لا تتوفر في أي مذهب أو نظام آخر.

ثالثا: كشف زيف العلمانية ومنهجها ومبادئها التي تدعو إلى تطبيقها في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: ما تتميز به هذه الحقبة الزمنية التي نعيشها من تقدم هائل في مجال العلم وخاصة في العلوم المادية والتي يحاول الغرب الترويج لها على أنها نتاج العلمانية ومظهر من مظاهرها،

خامساً: لفت أنظار المسلمين إلى خطر العلمانية على الدين والمجتمع.

الدراسات السابقة:

هذا الموضوع المهم لا أدعي أنني أول من قام بالبحث فيه ولكن سبقني عملاء أجلاء وباحثون عظماء، وأخوة أفاضل، بدراسات قيمة، وما بحثي إلا لبنة في ذلك البناء الشامخ في الردود على العلمانية وأهلها والدفاع عن الإسلام:

ومن تلك الدراسات التي تيسر لي الاطلاع عليها والاستفادة منها:

١. العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة، للباحث/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي، وهي رسالة ماجستير للباحث مقدمة لجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، وهي دراسة منشورة في اكثر من سبعمائة صحيفة صادرة عن مطابع أم القرى، وتقع الدراسة في خمسة أبواب تناول فيها الباحث بالتفصيل نشأة العلمانية، وصورها، وبين عدم وجود مبرر لعلمانية في بلادنا الإسلامية.

٢. العلمانية المعاصرة وسبل مواجهتها، وهي رسالة ماجستير مقدمة من الباحثة إيمان طلال أحمد المقادمة لقسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة غزة بفلسطين، وهي دراسة تقع في فصلين، بينت فيه الباحثة مفهوم العلمانية وعلاقتها بالديمقراطية والليبرالية والرأس مالية والإباحية، والفرق بين العلمانية المعاصرة والعلمانية التقليدية، وبينت الباحثة فشل العلمانية في مواجهة الإسلام.

٣. القومية والعلمانية مدخل علمي، للكاتب د. عدنان محمد زرزور صادرة عن مؤسسة الرسالة عام ١٩٩٢م، بين فيه الباحث معنى القومية والعلمانية ، ثم تكلم عن الإلحاد وعلاقته بالعلمانية وآثار الدعوة إلى العلمانية.

٤. جذور العلمانية، للدكتور/ السيد أحمد فرج، وهو كتاب يقع في ١٦٠ صحيفة، صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٨٤م عن دار الوفاء بالمنصورة، بين فيه الكاتب العلمانية ونشوء لفظة العلمانية وتاريخها في مصر.

أهمية الموضوع وقيمته العلمية:

يعتبر هذا الموضوع من الأهمية بمكان وذلك لعدة أسباب كما يلي:

أولاً: كشف زيف العلمانية التي تتربص بالأديان وتعاديها في محاولة للقضاء عليها وقصرها على العبادة في دور العبادة فقط وعزلها عن الحياة.

ثانياً: التعرف على مبادئها التي تقوم عليها، والتي تمثل منطلقها لتحقيق أهدافها، والتعرف على الأهداف الخبيثة التي تريد نشرها في

المجتمع.

ثالثا: التعرف على وسائل وعوامل انتقال العلمانية إلى المجتمع الإسلامي.

رابعاً: التعرف على موقف الإسلام من العلمانية، ومدى توافقها ومخالفتها لمبادئ الإسلام.

منهجي في البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الاستردادي[1] في محاولة استنطاق التاريخ لمعرفة كيفية بداية العلمانية في الغرب وازدهارها وعوامل انتقالها إلى العالم الإسلامي، ووسائل تأثيرها فيمن يتحمسون لها، كما اعتمدت أيضاً على المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي[2]، حيث أقوم بوصف الظاهرة العلمانية وتحليلها واستنباط ما يلزم لفهم آثارها ومسبباتها ومظاهرها.

---

(١) وهو المنهج الذي يستهدف فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل في ضوء خبرات الماضي وأحداثه ومعرفة الظروف والملابسات والخبرات والمواقف التي مر بها الإنسان منذ بداية حياته (مناهج البحث العلمي، د. عبد الفتاح محمد العيسوي و د. عبد الرحمن محمد العيسوي ص٢٤٣، ط دار الراتب الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٦م) .

(٢) وهو منهج يقوم على ثلاثة أسس: التفسير أولاً ، ثم التحليل والنقد، ثم الاستنباط وهو ما يعبر عنه بالتركيب (انظر: أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري ص٧، ط دار الفرقان - الدار البيضاء بالمغرب-، ط الأولى ١٩٩٧م) .

خطة الدراسة:

فقد اقتضت طبيعة هذه البحث أن تأتى في أربعة مباحث تسبقهم مقدمة وتمهيد وتعقبهم خاتمة.

أما **المقدمة** ففيها أهمية الموضوع و أسباب اختياره.

وأما **التمهيد** ففيه: تحليل مصطلح العلمانية.

وأما **المبحث الأول:** فعنوانه: "نشأة العلمانية في الغرب ومراحلها"

وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: "نشأة العلمانية في الغرب"

المطلب الثاني: "المراحل التي مرت بها العلمانية.

وأما المبحث الثاني فعنوانه: انتقال العلمانية إلى البلاد الإسلامية"

وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: العوامل التي ساعدت على انتقال العلمانية إلى البلدان الإسلامية.

المطلب الثاني: وسائل نقل العلمانية إلى البلدان الإسلامية.

وأما المبحث الثالث: مجالات نشر العلمانية وأثارها على المجتمعات الإسلامية.

وتضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: علمنة التعليم.

المطلب الثاني: علمنة القانون.

المطلب الثالث: علمنة الإعلام.

المطلب الرابع: علمنة الأسرة والأخلاق.

المطلب الخامس: رواد الفكر العلماني في الشرق الإسلامي.

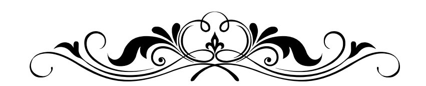
وأما **المبحث الرابع:** وعنوانه: موقف الإسلام من العلمانية.

وأما **الخاتمة:** فقد تناولت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث وأهم التوصيات.

وبعد ...

فهذا هو منهجى وخطة دراستى وجهدى المتواضع،

فإن أكن أحسنت فمن الله، وإن كان غير ذلك فمنى ومن الشيطان، وحسبى أنى قد اجتهدت وبذلت ما في وسعى وعلى الله قصد السبيل



التمهـــيد

وفيه: تحليل مصطلح العلمانية

إنه لمن الضروري قبل الدخول في طرح موضوع البحث -محل الدراسة- من التعريج إلى تحديد المفاهيم الواردة في عنوانه، فإن ذلك يكون أكثر عونا على تحديد مسار البحث.

ومن ثم رأيت الاستهلال بتحديد مفهوم العلمانية وما تعنيه في المعاجم العربية وكذلك في المعاجم الغربية محل نشأة العلمانية، وذلك فيما يلي بعون الله تعالى.

وللعلمانية معنى في اللغة وآخر في الاصطلاح.

أولاً في اللغة: كلمة "علمانية" لا توجد في المعاجم القديمة، لأن هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة، ولكن يمكن العثور عليه في بعض المعاجم الحديثة وعلى سبيل المثال:

١- في المعجم الوسيط: " العلماني " نسبة إلى " العَلم " بمعنى " العالم " وهو خلاف الديني أو الكهنوتي[(١)].

٢- وفي معجم اللغة العربية المعاصر: " علماني " " مفرد ": اسم منسوب إلى علم على غير قياس، بمعنى عالم، غير ديني يعنى بشئون الدنيا

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر محمد النجار٢/٦٢٤، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

فقط ويعتقد بفصل الدين عن الدولة[1].

٣- وفي المنجد الأبجدي:"العلم: العالم.... العلماني: العامي الذي ليس بإكليركي[2][3].

ومن هذا يتبين أن العلمانية في اللغة تدل على ما ليس دينيا.

ثانياً العلمانية في الاصطلاح:

أما العلمانية في الاصطلاح فعرفت بتعاريف كثيرة منها على سبيل المثال:

١- أنها " نظام أخلاقي اجتماعي يعتمد على قانون يقول: بأن المستويات الأخلاقية والسلوكيات الاجتماعية يجب أن تحدد من خلال الرجوع إلى الحياة المعاشة، والرفاهية الاجتماعية دون الرجوع إلى الدين"[4].

٢- وتعرف كذلك بأنها "إقامة الحياة على غير الدين، سواء بالنسبة للأمة

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصر، د.أحمد مختار عمر ١٥٤٥/٢ ط عالم الكتب ط الأولى ١٤٢٩- ٢٠٠٨م

(٢) الإكليريكي: من ينسب إلى الإكليروس، وهم رجال الدين، أو الرتب الكنسية بما فيها القسوس والشمامسة (انظر: قاموس المصطلحات الكنسية، على موقع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية http://st-takla.org

(٣) المنجد الأبجدي ص٧١٣- ط دار المشرق، بيروت ، ط الخامسة ١٩٨٦م.

(٤) جذور العلمانية (الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية في مصر منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨م) د. السيد أحمد فرج، ص١٠٥، ط: دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٨٥م.

أو للفرد، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود، فبعضها تسمح به، كالمجتمعات الديمقراطية[١] الليبرالية[٢] ، وتسمي منهجها (العلمانية المعتدلة) أي أنها مجتمعات لا دينية لكنها غير معادية للدين، وذلك مقابل العلمانية المتطرفة) أي المضادة للدين، ويعنون بها المجتمعات الشيوعية[٣] وما شابهها"[٤]

من هذا يتبين أن العلمانية تعنى إبعاد الإنسان عن الدين، والمجتمعات

(١) الديمقراطية: شكل من أشكال الحكم، وأسلوب في الحياة، وهدف أو مثل وفلسفة سياسية. ويشير الاصطلاح أيضًا إلى البلد الذي يتخذ نوعًا من الحكم الديمقراطي. وتعني كلمة ديمقراطية حكم الشعب، يشارك المواطنون في الدولة الديمقراطية، في الحكم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وذلك بأن يجتمع الناس في مكان واحد ليسنوا قوانين مجتمعهم، أو يختارون عددًا معينًا من بينهم لينوبوا عنهم في اتخاذ القرارات بشأن القوانين والأمور الأخرى. (انظر: الموسوعة العربية العالمية مجموعة من المحررين ٥٧٧/١٠،تحت رعاية الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود ١/ ٥٧٨، ط مؤسسة أعمال الموسوعة، ط الثانية) ..

(٢) الليبرالية: الليبرالية فلسفة اقتصادية وسياسية تؤكد على الحرية والمساواة وإتاحة الفُرص... وتعتبر الليبرالية مصطلحًا غامضًا لأن معناها وتأكيداتها تبدَّلت بصورة ملحوظة بمرور السنين. (انظر: المرجع السابق ٢١/٢٤٧ـ٢٤٨)

(٣) الشيوعية: مذهب فكرى يقوم على الإلحاد، وأن المادة هى أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادى، وقد ظهر فى ألمانيا على يد ماركوس وأنجلز، (أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د/ مانع بن حماد الجهنى ٢/ ٩٢٩ / ٩٣٣ ط دار الندوة العالمية للطباعة ط الثالثة ١٤١٨هـ.) .

(٤) العلمانية (نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص٢٤، ط مطابع جامعة أم القرى، ط الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

وعن العقائد الدينية بحيث لا يكون للدين أى سلطان أو تدخل في توجيه الإنسان أو في تثقيفه أو تربيته، وربطه بالأرض وعزله عن المناهج الإلهية، وأن الإنسان العلماني هو الذي يهتم بدنياه على حساب آخرته، ولا يؤمن إلا بالمادية، ولو على حساب الدين.

٢- وعن العلمانية يقول الدكتور / محمد البهى[(١)]: " العلمانية هى نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الدينى والعبادة الدينية، وهى اعتقاد بأن الدين والشئون الإكليريكية اللاهوتية، والكنيسة، والرهبنة لا ينبغى أن تدخل في أعمال الدولة وبالأخص في التعليم، والتحول إلى العلمانية هو التحول من الملكية الدينية إلى الملكية المدنية ومن الاستعمال الدينى إلى الاستعمال المدنى... "[(٢)]

فالعلمانية: ترفض أى شكل من أشكال الدين والتدين، وتهدف إلى بناء مجتمع يبتعد عن الملكية الدينية، وتبنيه على أساس مدنى هدفه الدنيا وما فيها من ملذات، بجانب ذلك الابتعاد عن السماء وتشريعاتها.

---

(١) محمد البهي، علم من أعلام الأزهر ولد عام ١٣٢٣هـ ١٩٠٥م، نال الدكتوراه في الفلسفة من ألمانيا عام ١٩٣٦م، وعاد إلى الأزهر الذي نشأ فيه، وعين مدرسا للفلسفة في كليتي اللغة العربية وأصول الدين، ثم عين رئيسا لجامعة الأزهر ثم وزيرا للأوقاف المصرية حتى عام ١٩٦٤م، له العديد من المؤلفات منها" الجانب الإلهي من التفكير الفلسفي والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار" توفي عام ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م (انظر: ذيل الأعلام، أحمد العلاونة ص١٦٩-١٧٠، ط دار المنارة، جدة، ط الأولى ١٩٩٨م) .

(٢) العلمانية والإسلام د. محمد البهى ص١٦-١٧ هدية مجلة الأزهر ١٤١٥هـ.

فالعلمانية إذا هدفها الأعظم إبعاد الدين عن حياة الإنسان العملية.

٣- وقيل عن العلمانية أنها تهدف إلى " عزل السماء عن الأرض والدين عن الدنيا، وإحلال الإنسان في تدبير العمران البشرى محل الله "(١).

ومن خلال هذا العرض لآراء بعض المفكرين وتعريفاتهم للعلمانية نخلص إلى أن المدلول الصحيح لها هو: " فصل الدين عن الحياة " - وإبعاد الإنسان عن الله وإقامة المجتمعات على أساس غير ديني.

العلمانية في المعاجم الغربية:

وبما أن العلمانية نبتة غربية ظهرت في الغرب، فلابد من الرجوع إلى المعاجم اللغوية الغربية لفهم معناها.

وبالبحث في تلك المعاجم نجد أن معناها يدور حول " غير ديني " أو " غير كهنوتي " أو " دنيوي " في مقابل الأخروي أو " الديني " يتبين ذلك مما يلي:

أ - ففي معجم اللغة البريطانية العالمية عن مادة " علمانية " ما يلى:-

١- علمانية: (Secularism) ما يهتم بالدنيوى أو العالمى كمعارض للأمور الروحية، وبالتحديد هى الاعتقاد بالدنيويات.

٢- الرجل المعلمن: (Secularist) هو تعريف ذلك الشخص الذي يؤسس سعادة الجنس البشرى في هذا العالم دون اعتبار للنظم الدينية أو أشكال العبادة.

---

(١) العلمانية بين الغرب والإسلام، د / محمد عمارة ص٩ دار الوفاء - المنصورة.

٣- يعلمن: (Secularige) يجعله علمانيا، غيرّ أو حول من مقدس إلى استعمالات دنيويه ويجعله عالمياً.

٤- علماني: (Secular):

(١) ما يختص بهذا العالم أو الحياة الحاضرة، زمنى أو عالمى أو ما يتناقض مع كل ما هو دينى أو روحانى.

(٢) ما لا يخضع لسلطة الكنيسة " مدنى " أو " غير روحانى ".

(٣) ما لا علاقة له بالنذور الرهبانية والقرابين ضد " النظام" أو " الكلاسيكى "[(١)].

وأما في قاموس المورد فقد ورد ما يلى:

(أ) دنيـوى secularm Terest

(ب) غير دينى Drama

(ج) مدنى، إكليركى jurisdiction

٢- عالمى، غير قانونى، غير منتسب إلى الرهبانية Priests

والدنيوية: عدم المبالاة بالدين أو بالاعتبارات الدينية. Secularism

أ) يعلمن: ينذع عنه الصفة أو السيطرة الاكليريكيه.

---

(١) معجم اللغة البريطانية العالمية ج٢، ص١١٣٨.

ب) يتشبع بالنزعة الدنيوية Qsecularization[1].

ج) ويقول معجم أكسفورد شارحاً لكلمة " Secular "

١- دنيوى أو مادى، ليس دينيا ولا روحيا: مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، أو السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

٢- تعنى: أنه لا ينبغى أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية[٢]. ويقول المعجم الدولى الثالث " مادة Secularism " وهى نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعى دون النظر إلى الدين "[٣].

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن المعاجم والموسوعات الغربية في تعريفها للعلمانية قد أقرت المعنى الذي يتفق مع الاستعمال الغربى لهذا المصطلح.

فالعلمانية: هى النظرة الدنيوية في مقابل الدينية أو الكهنوتية.

والعلماني: هو ما يتعلق بهذا العالم الدنيوى في مقابل الدينى أو الكهنوتى.

---

(١) قاموس المورد، منير البعلبكي ص٨٢٧، ط دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٧م.

(٢) معجم أكسفورد ص٧٨، نقلاً عن (العلمانية نشأتها وتطورها فى الحياة الإسلامية المعاصرة سفر الحوالى ص٢٣، ط جامعة أم القرى، مكة. ط أولى) .

(٣) المرجع السابق ص٢٣ نقلاً عن المعجم الدولى الثالث الجديد.

أسباب التباس مصطلح العلمانية وعدم وضوحه :

لقد التبس مفهوم لفظ العلمانية عند المفكرين العرب وذلك لعدم شيوعه في المراجع والمعاجم القديمة [العربية] لحداثته، لذلك يقول د / عبد الوهاب المسيرى(1): "إن مصطلح العلمانية مصطلح خلافي جداً لأن المفكرين منهم من رأى أنه فصل للدين عن الدولة، ومنهم من رأى أنه فصل للدين عن الحياة، ولذلك يرجع عدم وضوح المعنى واللبس فيه إلى الأسباب الآتية:

١- إشكالية العلمانية، أى شيوع تعريف العلمانية باعتبارها " فصل الدين

---

(1) د عبد الوهاب المسيرى: مفكر وناقد ومترجم مصري ولد فى مدينة دمنهور ١٩٣٨م، تلقى تعليمه الجامعى فى جامعة الاسكندرية حيث التحق بقسم اللغة الإنجلزية بكلية الآداب سنة ١٩٥٥م، وتخرج منها عام ١٩٥٩م ثم عين معيدا بذات القسم. حصل على الدكتوراه فى الأدب الإنجليزى والأمريكى المقارن،اكتسب شهرة وأهمية بعد صدور موسوعته حول المفاهيم والمصطلحات والصهيونية عام ١٩٧٥م. علم بعد تخرجه خبيراً بالشئون الصهيونية بمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بمؤسسة الأهرام ما بين عامى ١٩٧٠-١٩٧٥م مارس التدريس فى عدد من الجامعات العربية أولها جامعة عين شمس، ثم جامعة الملك سعود بالرياض، وجامعة الكويت، ثم عاد إلى جامعة عين شمس كأستاذ متقاعد، أهم كتبه " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (أنظر: الموسوعة العربية العالمية ٢٨١.٢٨٠/٢٣، ط مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط الثانية١٤١٩هـ ١٩٩٩م وبها خطأ فاحش حيث تذكر أن الدكتور المسيري تلقى تعليمه في الولايات المتحدة وقد أعرضت عنه، وانظر موقع الدكتور المسيري على الشبكة العالمية للمعلومات

http://www.hlmhssiri.com/cv.php?i=1&shlhcthd_ithm_id=3

عن الدولة " وهو ما سطحَّ القضية تماماً وقلص نطاقها.

٢- تصور أن العلمانية " مجموعة أفكار وممارسات واضحة " الأمر الذي أدى إلى إهمال عمليات العلمنة الكامنة والبنوية.

٣- تصور العلمانية باعتبارها " فكرة ثابتة " لا متتالية أخذة في التحقق، فالعلمانية لها تاريخ، الأمر الذي يعنى أن الدارسين كل حسب لحظته الزمنية.. درسوا ما هو قائم وحسب. دون أن يدرسوا حلقات متتالية.

٤- أخفق علم الاجتماع الغربى في تطوير نموذج مركب وشامل للعلمانية الأمر الذي أدى إلى تعدد المصطلحات.

٥- استقر معنى مصطلح " العلمانية " في الغرب في الستينات، إذ ظن الجميع أن معناه قد تحدد واستقر، ولكن في الآونة الأخيرة بدأت تظهر بعض الدراسات التي تتناول هذا الموضوع من منظور جديد

٦- حدثت مراجعة للمصطلح في العالم العربى، وهو ما أدى إلى التصالح بين القوميين والعلمانيين[١].

ونستخلص من ذلك: أن مصطلح العلمانية فيه لبس وذلك لاختلاف التعريفات فيه حسب الأزمنة المتتالية.

(١) العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د عبد الوهاب المسيرى ١/١٥-١٦،ط دار الشروق، ط الأولى ١٤٢٣ / ٢٠٠٢م.

المبحث الأول

نشأة العلمانية في الغرب ومراحلها

كان لابد لمعرفة العلمانية ومبادئها، وما تمثله من مخاطر على المجتمعات وعلى الديان من التعريج على نشأة العلمانية، والمكان الذي نشأت فيه، وما تشربت به من مبادئ نتيجة لظروف نشأتها، والمراحل التي مرت بها، وذلك في مطلبين كالتالي:

المطلب الأول: نشأة العلمانية في الغرب.

المطلب الثاني: "المراحل التي مرت بها العلمانية.

المطلب الأول

نشأة العلمانية في الغرب[1]

ولم يكن غريباً في الغرب أن تجد العِلمانية مكانها، فقد فرضت ذلك ظروف الغرب، حيث عاشت أوربا ظروفاً دينية، واجتماعية، وسياسية، واقتصادية سيئة في القرون الوسطى؛ نتيجة تسلط الكنيسة وتحالفها مع الظالمين على شعوب الغرب المختلفة، ووقوفها في وجه كل تفتح فكري أو كشف علمي، وتجاوزها ذلك الحجر على العقول، إلى حجر أخطر على القلوب، حين فرضت صكوك الغفران وقرارات الحِرمان، وراحت تتاجر بها وتتخذها وسيلة للكسب الحرام، وغرقت أوربا في دماء ضحايا الكنيسة، حيث سقطت المئات بل الآلاف تحت مقاصل محاكم التفتيش ومشانقها، غير من غيبوا في غياهب السجون.

وتبدو نشأة العِلمانية في أوربا أمراً منطقياً مع سير الأحداث هناك، إذا رجعنا إلى الظروف التي ساعدت على ذلك، والتي على رأسها عبث الكنيسة بدين الله المنزل، وتحريفه، وتشويهه، وتقديمه للناس في صورة منفرة، دون أن يكون عند الناس مرجع يرجعون إليه لتصحيح هذا العبث وإرجاعه إلى أصوله الصحيحة المنزلة، كما هو الحال مع "القرآن" الذي تكفل الله بحفظه من كل عبث أو تحريف خلال القرون والأزمان.

فالعِلمانية إحدى ثورات العقل المسيحي ضد سلطان الكنيسة

---

(١) يقصد بها " أوربا الغربية والبلدان الأمريكية "(معجم المصطلحات الجغرافية، د. يوسف تونى ص٣٥٨. دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٧م) .

المسيحية، وقد كان لظهور العِلمانية في الغرب أسبابها، ومبرراتها التي أقنعت فلاسفة النهضة الأوربية بأنه لا سبيل إليها إلا باستبعاد رجال الكنيسة والدين عن مجال التوجيه في الحياة.

ونحن نعرض بعض الأسباب والمبررات التي كانت سبباً في نشأة العِلمانية فيما يلي:

١ - دور الكنيسة في تحريف الدين:

لم تعرف أوربا قط دين الله المنزل على حقيقته الربانية، وإنما عرفت صورة محرفة من صنع الكنيسة الأوربية، لا صلة لها بالأصل المنزل، الذي أرسل المسيح ليبلغه لبني إسرائيل ﴿ **وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ** ﴾ الآية"[١] وإذا استثنينا أفراد قلائل، متأثرين على طول التاريخ المسيحي من بعثة عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى بعثة الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فإن الجماهير الأوربية ظلت تستقي دينها من رجال الدين من البابوات والكرادلة، ومن المجامع المقدسة وشراح الأناجيل المحرفة، وتعتبرهم مرجعاً لا يرقى إليه الشك، ولا يجوز أن يناقش، فاتخذوهم أرباباً من دون الله على الحقيقة لا على المجاز[٢] وقد صدق الله إذ قال: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ** ﴾.[٣]

---

(١) آل عمران، آية: ٤٩.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب ص٩ ط الشروق ١٤٠٣هـ..

(٣) التوبة، آية: ٣١.

وفي القرون الثلاثة الأولى من ميلاد السيد المسيح - عليه السلام - كان الأباطرة وثنيين، لا يؤمنون بدين منزل، فكانوا يضطهدون النصارى، من صح اعتقاده منهم ومن انحرف وحرّف، يسومونهم سوء العذاب، ويشردونهم في الأرض، حتى اتخذ فريق منهم الأديرة والملاجئ في أطراف الأرض فراراً من العذاب، وفي القرن الرابع تغير الأمر حين اعتنق الإمبراطور "قسطنطين" المسيحية وفرضها على الإمبراطورية، ولكن الدين الذي فرضه "قسطنطين" هو شيء آخر غير الذي بشر به المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1]، إنه هو الدين الذي أذاعه "بولس الرسول" - شاول اليهودي -، ونشره في ربوع الأرض، وبخاصة بلاد الغرب.

يقول "برنتن": "إن المسيحية الظافرة في مجمع نيقية[2] - وهي العقيدة الرسمية في أعظم إمبراطورية في العالم - مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين في الجليل - أي المسيحية الأولى - ولو أن المرء اعتبر العهد

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب ص١٠.

(٢) نيقية: وهي تقع الآن شمال غربي تركيا، هي مدينة إغريقية قديمة تقع على الساحل الغربي للأناضول على بحر مرمره تسمي إزنيق حديثا، اشتهرت بأهميتها في تاريخ المسيحية لوقوع مجمع نيقية بها والذي ينسب إليه معظم العقائد المسيحية مثل قانون الإيمان النيقي. (انظر: الموسوعة العربية العالمية٦٣٦/٢٥،وموقع ويكيبيديا على الشبكة العالمية للمعلومات /http://ar.wikiphdia.org/wiki) .

ومجمع نيقية ٣٢٥م هو أول المجامع المسيحية حيث اجتمع فيه حوالي٢٠٤٨ من الأساقفة، وانعقد برعاية الإمبراطور الروماني قسطنطين للنظر في مقالة أريوس (انظر: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، البطريرك أفتيشيوس المكنى سعيد بن البطريق ص١٢٦، ط مطبعة الآباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩٠٥م) .

الجديد التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعاً، لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب، بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتاً".[1]

ويقول المستشرق "رينان": "إنه ينبغي لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقي كما كان يفهمه هو أن نبحث في تلك التفاسير والشروح الكاذبة، التي شوهت وجه التعليم المسيحي حتى أخفته عن الأبصار، تحت طبقة كثيفة من الظلام، ويرجع بحثنا إلى أيام "بولس" الذي لم يفهم تعليم المسيح - عليه السلام - بل حمله على محمل آخر، ثم مزجه بكثير من تقاليد الفرنسيين وتعاليم العهد القديم.

و"بولس" كما لا يخفى كان رسولاً للأمم، أو رسول الجدال والمنازعات الدينية، وكان يميل إلى المظاهر الخارجية الدينية، كالختان وغيره، فأدخل أمياله هذه على الدين المسيحي فأفسده، ومن عهد "بولس" ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس، وأما تعليم المسيح الأصلي الحقيقي فخسر صفته الإلهية.... وأن أولئك الشراح والمفسرون يدعون المسيح إليها دون أن يقيموا على ذلك الحجة، ويستندون في دعواهم على أقوال وردت في خمسة أسفار: موسى والزبور، وأعمال الرسل ورسائلهم، وتأليف آباء الكنيسة، مع أن تلك الأقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله - تعالى-".[2]

---

(١) أفكار ورجال، تأليف: جرين برنتن، ترجمة: محمد محمود، ص٢٠٧، ط: القاهرة.

(٢) محاضرات في النصرانية، الشيخ محمد أبو زهرة، ص١٨٩، ط: دار الفكر العربي، ١٩٨٢م.

فهذا "رينان" يجهر بذلك في قوة وجرأة، ولم يمنعه حرمان الكنيسة له من الإصرار على رأيه والذود عنه، فهو ينكر ألوهية المسيح، وينكر ألوهية روح القدس، وينكر أن تكون كتب النصارى كتبت بإلهام، ويعلن في جرأة أنها حرفت، وعراها التغيير والتبديل، وتنتهي نتائج بحثه إلى أن "بولس" لم يفهم تعاليم المسيح - عليه السلام -، بل طمسها، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للاعتقاد غموضاً وخفاءً.

ويقول الأب "بولس" في كتابه (يسوع المسيح): "وهو بصدد تثبيت عقيدة التثليث: "من الناس من يقول: لم يا ترى إله واحد في ثلاثة أقانيم؟ أو ليس في تعدد الأقانيم انتقاص لقدر الله؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله أحد فحسب؟ ولكننا إذا اطلعنا على كنه الله، لا يسعنا إلا القول بالتثليث، إن الله محبة - يوحنا الأول ٤: ١٦ - ولا يمكن إلا أن تكون محبة، ليكون الله سعيداً، فالمحبة هي مصدر سعادة الله، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور، إذا تفترض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما، فيكون الله سعيداً، ولا معنى لإله غير سعيد، وإلا انتفت عنه الألوهية، ولهذا ولد الله - تعالى - الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه، ووهبه ذاته، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته، وبادل الابن الأب هذه المحبة، وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس، هو الحب الذي يجعل الله ثالوثاً وواحداً معاً،... وهكذا يمكننا أن نقول: إن كنه الله يفرض هذا التثليث"[١].

---

(١) مقارنة الأديان د. أحمد شلبي، المسيحية، ص١٢٧ - ١٢٨، ط: النهضة المصرية.

ومما يؤكد على أن "بولس" كان له اليد الطولى في تحريف وتبديل دين المسيح قول "ويلز" المؤرخ الإنجليزي في كتابه (معالم تاريخ الإنسانية): "وظهر للوقت معلم آخر عظيم، يعده كثير من الثقات العصريين المؤسس الحقيقي للمسيحية، وهو "شارول الطرسوسي" أو "بولس"، والراجح أنه كان يهودي المولد، وإن كان بعض الكتّاب اليهود ينكرون ذلك، ولا مراء في أنه تعلم على أساتذة من اليهود، بيْد أنه كان متبحّرًا في لاهوتيات الإسكندرية الهيلنية - يعني مدارس الفلسفة اليونانية وخاصة الأفلاطونية المحدثة - وبأساليب الرواقيين كان صاحب نظرية دينية ومعلماً يعلم الناس قبل أن يسمع بيسوع الناصري بزمن طويل، ومن الراجح جداً أنه تأثر بالمترانية - ديانة فارسية قديمة - عبادة مترا إله النور -، إذ هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالعبارات المترانية.

ويتضح لكل من يقرأ رسائله المتنوعة جنباً إلى جنب مع الأناجيل أن ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تظهر قط بارزة قوية فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعليم، ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قرباناً لله كفارة عن الخطيئة، فما بشر به يسوع كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية، أما ما علمه بولس فهو الديانة القديمة، ديانة الكاهن والمذبح وسفح الدماء لاسترضاء الإله"[(١)].

هذه شهادات بعض مؤرخي الغرب ومفكريه، تؤكد في وضوح لا لبس

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية، تأليف ويلز، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، ٧٠٥/٣، ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة.

فيه مدى التحريف والتشويه الذي أدله "بولس" والمجاميع المقدسة من بعده على العقيدة المسيحية، من جعل الإله الواحد ثلاثة أقانيم، وتأليه عيسى - عليه السلام - وادعاء بنوته لله تعالى، وتأليه مريم، وروح القدس جبريل عليه السلام، واختراع قصة الصلب والفداء، وعبادة الصليب، وعبادة التماثيل.

٢ - طغيان الكنيسة ورجال الدين:

تبين مما سبق أنه لم يكن للدين الحقيقي في أوربا وجود، سواء في صورة عقيدية صحيحة أو شريعة حاكمة، ومع ذلك كان هناك نفوذ ضخم جداً يمارسه رجال الدين له في مجالات الحياة كافة، وإيهام الشعوب بأنه دين، فلقد كان الدين المسيحي أدياناً، والإنجيل أناجيل كثيرة، والإله الواحد آلهة متعددة، أب وابن وروح قدس، والمسيح العبد رباً، والكهان أرباباً من دون الله، يشرعون فيظلمون، وللعلم المتحرر يحاربون، وللحكام والإقطاع ينحازون.

فقد أوغلت الكنيسة في سلطاتها وفرضت على العقول القيود، وكبلت بالأغلال فلا يقبل رأي أو فكر لا يكون مصدره الكنيسة، وحرمت أي فرد أن يتناول الكتاب المقدس إلا رجال الكهنوت، وبلغ بها الحد إلى درجة أنها رفعت نفسها إلى مقام الألوهية، فأعطت رجال الكهنوت حق الغفران للعصاة والخاطئين ومرتكبي الكبائر من المسيحيين، كما كان لها الحق في الطرد والحرمان من ملكوت الله وواسع رحمته، ومن هنا كان لها أن تتحكم في العقول والقلوب والضمائر، ولقد كانت هذه التعاليم لا تطبق إلا على عامة الناس من غير رجال الدين، أما رجال الدين فأفعالهم كانت في وادٍ آخر،

فتحت هذه السلطات ارتكبوا من الموبقات ما يندى لها الجبين، ففرضوا الرهينة وعدم الزواج على قديسيهم، وأتى القديسين منهم في السر ما حرموا أنفسهم منه تحت شرع الله، ومن أجل ذلك كله كره الناس الدين ورجال الدين، وتنادوا للتمرد عليه[1].

أ - الطغيان العقلي والفكري:

مارست الكنيسة على العلماء والمفكرين نوعاً قاسياً من أنواع الطغيان، هو الطغيان العقلي والفكري الذي يتمثل في فرض أنواع من الحجر على العقول والأفكار، ومصادرة الآراء والأفكار إذا لم تكن تسير في رحال التأييد والتمجيد لرجالها، ولا تشوبها رائحة المعارضة. لقد أعلنت الكنيسة أن لها أسراراً تتصل بأمر الدين والعقيدة - كأسرار التثليث، والعشاء الرباني الذي يتحول فيه جسد المسيح إلى خبز، ودماؤه إلى خمر، وما إلى ذلك من معتقدات وطقوس - وأن هذه الأسرار مقدسة، وأنها غير خاضعة للمناقشة.

"لقد مارست الكنيسة طغيانها على عقول الناس وأفكارهم، حين فرضت عليهم أسرارها فرضاً، ومنعتهم من مناقشتها، واعتبرت المناقش فيها أو الشاك في أمرها كافراً، وجبت عليه اللعنة الأبدية، وخرج من رضوان البابوية، فخرج - من ثم - من رضوان الله تعالى، ولقد كانت تلك الأسرار كلها منافية للمنطق، ومنافية للعقل، ولا شك أن واضعيها كانوا يعلمون ذلك، أو يحسونه على أقل تقدير، ويحسون أنها لو نوقشت - بالعقل والمنطق -

---

(١) انظر: قصة الاضهاد الديني في المسيحية والإسلام، د. توفيق الطويل ص ٦٩-٧٠، ط الزهراء للإعلام العربي، ط الأولى ١٤١٢هأ١٩٩١م.

فلن تصمد للنقاش.

وإذا كانوا يصرون عليها، وعلى أنها الحقيقة - تضليلاً بوعي أو ضلالاً منهم بغير وعي - فلم يكن أمامهم إلا أن يستخدموا سلطانهم الطاغي لمنع المناقشة في هذه الأمور لكي لا تنكشف عن وهم لا وجود له إلا في أذهان واضعيه، أو لا وجود له حتى في أذهان واضعيه[1].

فماذا لو أعمل العلماء والمفكرون عقولهم في الأسرار العجيبة، وإن شئت فقل الأساطير، من أمثال أسطورة "التثليث" التي تجعل الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة، وأسطورة تحول الخبز والخمر بصلاة الكاهن إلى جزء من لحم المسيح ودمه، فيأكلها المسيحي من الكاهن فتصبح له شركة في جسد المسيح، وصك الغفران الذي يكتبه الكاهن في الأرض فيدخل به الإنسان الجنة في الآخرة بغير حساب، إلى غير ذلك من أمثال تلك الأسرار، التي في حقيقتها وواقع أمرها أساطير، لا يستطيع العقل أن يدركها، ولا أن يتدبرها.

الحل الأمثل - كما يقول الأستاذ "محمد قطب" لهذه الحال، أن تحجر الكنيسة على العقل، وأن يعتبر التفكير هرطقة تفضي إلى إهدار الدم في الدنيا، والحرمان من الغفران في الآخرة[2]. فأي عقل مفكر كان يتجرأ فيسأل - مجر سؤال - عن ماهية هذه الأسرار، ولو كان سؤاله من أجل الإيمان بها أو الاطمئنان الذي يزيد الإيمان، كانت الكنيسة تسارع إلى زجره عن هذا الإثم الذي يهم به، والذي يوقعه لا شك في المهالك، وتقول له إن هذا أمر

(١) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب ص٣٣.

(٢) العلمانيون والإسلام، محمد قطب، ص١٥، ط: دار الشروق، القاهرة.

خارج عن نطاق العقل، إنما يسلم المؤمن به تسليماً بغير نقاش[١].

فقد جعلت الكنيسة تلك الأسرار من أصول العقيدة، ثم زعمت أن عندها وحدها مفاتيحها، ثم قالت للناس لن نعطيكم المفتاح، ولكن عليكم أن تؤمنوا بها كما نقدمها لكم دون سؤال ولا نقاش، وإلا فأنتم زائغوا العقيدة كافرون، وعليكم اللعنة إلى يوم القيامة.

ب - الطغيان العلمي:

وهذا لون جديد من ألوان الطغيان، الذي مارسته الكنيسة غير الطغيان العقلي الذي كان سائداً من قبل بمنع المناقشة والتفكير في أمر الأسرار المقدسة المتصلة بالعقيدة، فقد كان هذا الطغيان الجديد يفرض على العقول ألا تفكر في أمور الكون المادي بما تقتضيه الملاحظات والمشاهدات العلمية، وأن تلتزم بالتفسيرات الكنسية لما جاء من إشارات في التوراة عن شكل الأرض، وعمر الإنسان، ولو خالفت هذه التفسيرات كل حقائق العلم النظرية والعملية.

وفقت الكنيسة - حائلاً ضد أي اكتشاف علمي، أو نظرية علمية لا تتفق مع مقررات الكنيسة وتعاليمها الموروثة على مدى قرون، كما حدث بالنسبة لنظرية "دوران الأرض حول الشمس"، التي كشف عنها "كوبرنيكوس" - ١٤٧٣ - ١٥٤٣[٢]- وكانت مناقضة تماماً لنظرية "بطليموس"، التي كانت

(١) مذاهب فكرية معاصرة، ص٣٤.

(٢) كوبرنيكوس، نيكولاس (١٤٧٣ - ١٥٤٣م) . عالم فلك بولندي، طور نظرية دوران الأرض، ويعتبر مؤسس علم الفلك الحديث، وُلد كوبرنيكوس في ثورني (الآن توروني

تقضي بثبات الأرض ومركزيتها بالنسبة للشمس، والتي ظلت مسيطرة على عقل الكنيسة والمسيحيين لمدة خمسة عشر قرناً تقريباً، وعندما توصل "كوبرنيكوس" إلى نظريته تردد في نشر بحثه مدة طويلة، يقول "كوبرنيكوس" في كتابه إلى البابا بولس الثالث: "إنني ترددت لمدة طويلة، هل أنشر ما كتبته للبرهنة على حركة الأرض، أو أحذو حذو أتباع "فيثاغورث"، الذين دأبوا على الإفضاء بأسرارهم الفلسفية لأقاربهم وأصدقائهم شفوياً، وعندما تأملت في هذا كثيراً كدت أضع هذا العمل جانباً؛ بسبب الازدراء الذي يحق لي أن أتوقعه لكون نظريتي جديدة وعلى نقيض ما يقبله العقل"(1).

وقد عارض النظرية كل من العامة، وطلبة الجامعة، ورجال الكنيسة، بل عارضها الثائرون على الكنيسة البابوية من رجال الدين أنفسهم... وقررت الكنيسة الكاثوليكية أن الاقتراح القائل بأن الشمس هي المركز، وأنها لا تدور حول الأرض حماقة وسخف وزيف في علم اللاهوت، وهرطقة؛ لأنه يناقض على طول الخط ما جاء في الكتاب المقدس، وأما القول بأن الأرض تدور حول الشمس وليست في المركز فسخيف، وزائف فلسفياً، ومن الناحية اللاهوتية يعارض العقيدة الحقيقة، وفي عام ١٦١٦م وضع كتاب

=

في بولندا) . ودرس في جامعة كراكو، وقد عيِّن بمساعدة عمه كاهنًا في فراونبرغ (الآن فرومبورك) . ودرس القانون والطب في جامعات بولونيا وبادوا وفيرارا في إيطاليا منذ عام ١٤٩٦ وحتى عام ١٥٠٦م، حين عاد إلى بولندا وعمل مستشارًا صحيًّا لعمه وكاهنًا في الوقت ذاته.(الموسوعة العربية العالمية ١٧٣/٢٠) .

(١) كتب غيرت العالم، لمؤلفه روبرت، داونز، ترجمة: أمين سلامة، ص٢٢٣، ط: القاهرة ١٩٧٧م.

"كوبرنيكوس" في قائمة الكتب المحرمة، وأدينت جميع الكتابات التي تؤيد حركة الأرض[١].

وحوكم "جود انو برونو"[٢] على اعتناقه لآراء أستاذه، والتي زاد عليها القول: بأن الفضاء غير محدود، وأن الشمس وكواكبها ليست سوى واحدة من عدة مجموعات مشابهة، وأن هناك احتمالاً لوجود عوالم أخرى مسكونة تضم مخلوقات عاقلة تمتاز عنها، حوكم "برونو" أمام محكمة التفتيش، وأدين وأحرق مربوطاً إلى عمود في فبراير سنة ١٦٠٠م.

ثم جاء بعده "جاليليو"[٣]، الذي أيد تجريبياً ما نادى به أسلافه من دوران دوران الأرض حول الشمس، فقبض عليه، وحكم عليه بالسجن سبع سنوات، ولما خشي على حياته أن تنتهي بالطريقة التي انتهى بها "برونو" أعلن ارتداده أمام محكمة التفتيش في عام ١٦٣٢م، حيث هددته بالقتل والتعذيب، وأجبرته على أن يجثو على ركبتيه ويدحض جميع معتقداته ونظريات

---

(١) حقيقة العِلمانية بين الخرافة والتخريب، د. يحيى هاشم فرغل، ص١٣ - ١٤، ط: دار الصابوني ١٩٨٩م.

(٢) فيلسوف إيطالي، ولد سنة ١٥٤٨ م،ومات سنة ١٦٠٠ م (انظر: عصر الإلحاد محمد الندوي ص٣٢، دار الصحوة للنشر والتوزيع) .

(٣) جاليليو (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢م) . عالم فلكي وفيزيائي إيطالي. كان يدعى مؤسس العلوم التجريبية المعاصرة. استخدم جاليليو ولأول مرة التلسكوب الانكساري بشكل فعّال لكشف حقائق جديدة ومهمة عن علم الفلك. اكتشف أيضًا قانون الأجسام المتساقطة وقانون البندول. كما طور التلسكوب الانكساري وحسّنه.(انظر: الموسوعة العربية العالمية ١٣٥/٨) .

"كوبرنيكوس"[(١)].

فهل هناك عداء للفكر والعلم أكبر من هذا، لقد أخذت الكنيسة أوربا إلى آخر خطوط الجهل والجمود في الفكر.

ولم يقف طغيان الكنيسة عند هذا الحد، بل وصل في عهد "قسطنطين" وخلفائه إلى درجة أنه كانت العلوم تعتبر نوعاً من السحر أو الخيانة، وكانت النزعة الدينية نحو كراهية العلوم العقلية هي التي عبرت عن نفسها خير تعبير بالمثل القائل: "الجهل أبو الإخلاص لله"، وها هو "البابا غريغوروس" الكبير يؤيد هذا المثل، فينفي من روما جميع المشتغلين بالدراسات العلمية ويحرق مكتبو "بلاتين".[(٢)]

ومهما يكن من شيء، فقد وقفت الكنيسة ورجالها من العلم والعلماء، ذلك الموقف الشائن الذي ترتبت عليه نتائج بعيدة المدى في الحياة الأوربية حتى اللحظة الراهنة، فقد بدأ منذ تلك اللحظة الفصام الأحمق بين العلم والدين، الذي ما يزال يغشى بدخانه الأسود حياة أوربا حتى اليوم، وأصبح المنهج السائد لدى العلماء في الغرب هو إبعاد كل ظل للدين عن أي مجال من مجالات البحث العلمي انتقاماً من الدين في شخص الكنيسة، التي حاربت العلم باسم الدين.

وعلى كل فإن الصراع بين العلم والكنيسة أدى إلى ثورات دامية، راح

---

(١) حقيقة العِلمانية بين الخرافة والتخريب، د. يحيى هاشم فرغل ص١٤، وقارن: قصة الصراع بين الدين والفلسفة، د. توفيق الطويل، ص٢٠٥، ط: النهضة العربية، ١٩٧٩م.

(٢) الله أو الدمار، آ/ لطفي جمعة، ص٤، ط: القاهرة ١٩٧٥م.

ضحيتها علماء وفلاسفة كثيرون، ثم انتهى إلى فصل كل منهما عن الآخر، فللعلم رجاله يقولون ما يشاءون دون أن يكون للكنيسة مؤاخذتهم كما كان في الماضي، وحتى لو أدى كلامهم إلى الإلحاد والكفر، وللكنيسة رجالها يقولون ما يشاءون حتى ولو كان مناقضاً للعقول دون أن يكون للعلم والعلماء موقف منهم.

٣ - صكوك الغفران:

لم يكف الكنيسة ورجال دينها هذا الفساد كله، فأضافوا إليه مهزلة من أكبر مهازل التاريخ، تلك هي مهزلة صكوك الغفران، فقد ادعت حقوقاً لا يملكها إلا الله، مثل حق الغفران، وحق الحِرمان، لم تتردد في استعمال هذه الحقوق واستغلالها، ففرضت على الناس صكوك الغفران، بحجة أن الكنيسة تغفر الذنوب، وصكوك الغفران لا مخلص للشخص المذنب في نظر الكنيسة غيرها، كما أصبحت هذه الصكوك تباع في الأسواق لمن يطلبها، كما تباع شهادات الاستثمار في البنوك، أما حق الحرمان فكان عقوبة معنوية بالغة، وشبحاً مخيفاً للأشخاص.

والغفران لا يتم إلا بطقوس، منها: الجلوس على كرسي الاعتراف، للإدلاء أمام القسيس أو من يعلوه باعترافات، بلا تفرقة بين ذكر وأنثى، وبلا اشتراط لانعدام الخلوة في حالة الأنثى، ومنها إصدار صك المغفرة، غالباً ما يدفع المذنب في مقابله شيئاً من المال، وقد اتخذت صكوك الغفران شكل التجارة في بعض الفترات، كما شكلت مصدراً للإثراء غير المشروع "لرجال الدين الكنسي"، ويجري الصك على النحو التالي:

"ربنا يسوع المسيح برحمتك يا... - يذكر اسم طالب المغفرة - ويحلك باستحقاق آلامه الكلية القدسية، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطلائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار الذنوب، وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرص... وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقرنك في شركة القديسيين، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل مع الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الروح وإن لم تمت سنين مستطيلة، فهذه نعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس"[(١)].

هذه صورة من صور صك الغفران، تذكر أنها تمحو الآثام وتغفر ذنوب المعاصي ما تقدم منها، وما تأخر، تغسله من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهراً، ثم لا يصير قابلاً لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا، ومهما ينغمس في المعاصي، كان ذلك الصك جواز المرور إلى النعيم المقيم، لا يعوق حامله عائق، ولا يرده عن الوصول خازن أو حارس.

هذا ما يدل عليه الصك، وهذا ما كانت تحاول الكنيسة أن تلقيه في

---

(١) مقارنة الأديان، المسيحية، ص٢٥٤، وقارن: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٧٢.

روح الناس تمكيناً لسلطانها؛ ورغبة في نفوذهم التي يبذلونها للكنيسة في سبيل الحصول على ذلك الصك الذي يكون سر الأمان وطريق الوصول إلى الغاية.

وقد جاءت هذه المهزلة نتيجة قرار صدر من مجمع روما عام ١٢١٥م يعطي البابا حق غفران الذنوب والخطايا للمذنبين، استناداً إلى نص محرف ينسب إلى السيد المسيح - عليه السلام - بل تعارضه نصوص أخرى، وهذا النص هو قول المسيح لبطرس: "وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحلله على الأرض يكون محلولاً في السموات"(١).

ثم انظر إلى نص آخر للمسيح وهو يتكلم عن "بطرس" الذي أعطي ملكوت السموات، فيصفه بأنه شيطان؛ مما يشكك في النص الأول، وهذا النص ينسب إلى المسيح قوله لبطرس: "فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي؛ لأنك لا تهتم بما لله"(٢).

هل يعطي المسيح شيطاناً مفاتيح ملكوت السموات؟ وهل يملك المسيح ذلك؟ والله - تعالى - يقول في محكم التنزيل:﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح ١٦/١٩ - ٢٠.

(٢) إنجيل متى، الإصحاح، ١٦/٢٣ - ٢٤.

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

ومع أن صكوك الغفران مهزلة مضحكة ومكشوفة "فقد ظلت قائمة في المجتمع الأوربي - مجتمع الظلمات - فترة غير قصيرة من الوقت، واتسع نطاقها، وكثرت أرباحها حتى فاضت عن مطامع قداسة البابا، فتنازل عن شيء من الفائض لكبار أعوانه، فصرح لهم بإصدار صكوك لحسابهم، استرضاء لهم، واستعانة منه بهم في "جلائل الأعمال"، ولكنها كانت لا بد مؤدية إلى نتائجها الطبيعية، وهي النفور من الدين في النهاية، والنفور من رجال الدين[2].

فحين يرى الناس الحصيلة المتحصلة من الصكوك تذهب إلى الترف الماجن، والمتاع الفاجر الذي يغرق فيه معظم البابوات، وكبار رجال الدين، حين يرون نفراً من أصحاب الصكوك - وقد ضمنوا مغفرة ما تقدم من ذنبهم وما تأخر - غارقين في الفساد؛ اتكالاً على أن ذنوبهم تمحى أولاً بأول بسحر الصك الذي ابتاعوه، وحين يرون السلطان الطاغي الذي تحصل عليه الكنيسة بأموالها المكدسة التي أصبحت بها أغنى من الملوك وأمراء الإقطاع، ينصرف إلى مزيد من الطغيان، ومزيد من الظلم، ومزيد من التحكم في رقاب العباد وعقولهم وأفكارهم، حين يرون ذلك كله فلا شك أنهم ينفرون في النهاية، وينسلخون عن الدين الذي ينتج كل تلك الأفاعيل.

ولئن استمر البسطاء مخدوعين في قداسة البابا وقدرته على محو

---

(١) المائدة، آية: ١٧.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، ص٦٥ - ٦٦.

الذنوب من صحيفة الأعمال بماله عند الله من الوساطة والحظوة والقداسة، فقد انكشف الأمر عند العقلاء، ولا شك أن قداسة البابا قد أصبح تاجراً كبيراً، وأنه على نسق معظم التجار الكبار مدلس غشاش، يبيع بضاعة لا يملكها، ويقبض الثمن نفسه ليثري الثراء الفاحش، ثم ينفق هذا الكسب الحرام في المتاع الدنس، ويغرق به في الشهوات والملذات.

٤ - محاكم التفتيش:

بالغت الكنيسة في سطوتها، وأخضعت الكل لإرادتها حتى لو كان الإمبراطور نفسه، ففي مطلع القرن الثالث عشر أنشأت الكنيسة محاكم للتفتيش البابوية، وجعلتها أداة مستديمة للقمع والتسلط ونشر الرعب وسفك الدماء، وبهذه الأداة نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنساني بالعذاب والنار، وشهد القرن الثالث عشر كبار رجال الكنيسة يقفون في مائة ساحة من ساحات الأسواق في أوربا ليراقبوا أجسام أعدائها تحترق بالنار، وتخمد أنفاسهم بحال محزنة[١].

لقد بحثت الكنيسة عن المخالف لها في الرأي، سواء كان في الدين أو في العلم أو الاجتهاد، ولم تكتف بقتل من يجهرون بآراء تخالف آراءها، بل أخذت تنقب على القلوب، وتكشف عن سرائر الناس بما أسماه التاريخ محاكم التفتيش، التي دنست تاريخ الأديان بما ارتكبت من آثام، وما سفكت من دماء، وما أزهقت من أرواح، وما عذبت من أحياء[٢]، ولقد حرق وعذب

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية، ٩٠٨/٣.

(٢) محاضرات في النصرانية، الشيخ أبو زهرة، ص١٦٧.

في هذا السبيل علماء استشهدوا في سبيل العلم بسبب مظالم تلك الكنيسة، وضيق صدر القوامين عليها.

ومهما يكن من أمر فإن تاريخ الكنيسة في ذهن الإنسان الغربي المسيحي، يعني الاضطهاد والقتل ومحاكم التفتيش، والمذابح المستمرة بين الطوائف المتنازعة بعضها وبعض، وعودة السلطة إليها تعني عودة هذه المآسي، فلا غرو أن ينفر الإنسان الغربي منها، ويقف في سبيل حكمها وتسلطها.

ومهما يكن من شيء، فقد تجمعت في أوربا أسباب لنشأة العِلمانية، أقنعت رجال النهضة بأنه لا سبيل إليها إلا باستبعاد رجال الكنيسة، والدين من مجال التوجيه في الحياة الدنيا، وساعد هذا على تدعيم موقف الإلحاد بصفة عامة، فوصلت العِلمانية على يد "ماركس" إلى مجرد استبعاد الدين، ولكن إلى اعتباره مخدرًا، أو أيديولوجية مصطنعة.

وإلى هنا نستطيع حصر الأسباب التي جعلت الإنسان الأوربي يتخذ موقف العداء تجاه الدين ورجاله، وهي التي كانت سببًا مباشرًا في نشأة العِلمانية، وهذه الأسباب ترجع إلى الأخطاء التي ارتكبها رجال الدين المسيحي، وليس الدين نفسه، وتتمثل في الآتي:

١- تحريف المسيحية.

٢- الحجر على العقول، وتكبيل كل إبداع فكري وكل كشف علمي.

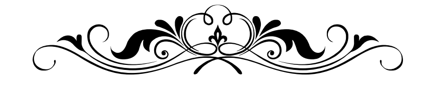
٣- الحجر على القلوب، المتمثل في صكوك الغفران، وقرارات الحرمان، ومحاكم التفتيش.

٤- تحالف الكنيسة مع الظالمين للشعب، كالملوك والقياصرة، والأباطرة.

تلك هي الأرض السبخة التي أنبتت العِلمانية في أوربا، وللغرب عذرهم في ترك المسيحية، واختيار العِلمانية، وفصل الدين عن الدولة؛ لأن الكنيسة تحكمت في عقولهم، بل وألغت هذه العقول؛ لأنها كانت تخشى ما تعتبره دخيلاً على الكتاب المقدس، واعتبرت الكتاب المقدس كافيًا لجميع العلوم، واعتبرته كافيًا للحياة الدنيا والآخرة، ولرجال الكنيسة وحدهم حق تفسيره وتأويل نصوصه.

ومن حق الغربيين أن يقفوا موقفًا ما إزاء دينهم وتفسيرات عقيدتهم التي وقفت ضد نهضتهم، وضد كشوف العلم، وفرضت محاكم التفتيش وغيرها من أساليب السيطرة، أما بالنسبة للمسلمين فإن الموقف يختلف اختلافًا كبيرًا، فإن الإسلام كان مصدر العلم والحرية والمساواة، وداعية الإخاء الإنساني، وليس في الإسلام مؤسسة تشبه الكنيسة في المسيحية التي تختص بأسرار الدين وطقوسه، وقد امتزج الإسلام بالمجتمع الإسلامي امتزاجًا كاملاً عقديًا، وعضويًّا، فالإسلام دين ودولة، عبادة وقيادة.

من هذا يتبين أن نشأة العلمانية جاءت لظروف في المجتمع الغربي مثل تحرف الكنيسة للدين، وطغيان رجال الكنيسة، حتى وصل بهم لإصدار صكوك للغفران، كذلك محاكم التفتيش التي تحكمت حتى في التفكير.



المطلب الثاني

المراحل التي مرت بها العِلمانية في الغرب

الذي يتابع نشأة العِلمانية، ومدلولاتها، وتطوراتها يلاحظ تفاوتًا في مفاهيمها لدى كثير من المفكرين، الذين ارتادوا ميدانًها، ودافعوا عن نهجها في الفكر والمجتمع، والنظرية والتطبيق، لكن هذا التفاوت لا ينفي إمكانية تحديد طورين، ومرحلتين مرت بهما العِلمانية في الفكر الأوربي:

المرحلة الأولى:

تلك التي كانت العِلمانية فيها تعني عزل الدين، والكنيسة، وشئون المجتمع، ومؤسساته لحساب بناء الدولة البورجوازية، وفي سبيل دعمها والسعي لتصفية اللاهوت الميحي الكاثوليكي، وتنقيته مما هو غير عقلاني، من مثل: أسرار عقيدة التثليث، والطبيعة الإلهية للمسيح، والعمل على رفع الوصاية الدينية الكنسية عن التعليم؛ تمكينًا للفطرة الإنسانية من الاختيار، وعرفت أوربا العِلمانية بهذا المعنى في طورها الأول، عند فلاسفة ومفكرين من أمثال: "هوبز ١٥٨٨-١٦٧٩م"، و"لوك١٦٣٢-١٧١٦"، و"ليبنتز ١٦٤٦-١٧١٦م"، و"روسو١٧١٢-١٦٧٨م"[(١)].

وتسمى هذه المرحلة بالمعتدلة، وهي تلك المرحلة التي اعتبر فيها

(١) العلمانية ونهضتنا الحديثة، د. محمد عمارة، ص١٢، ط: دار الشروق - القاهرة، وقارن: العلمانية والإسلام، د.محمد البهي، ص١٠-١٦، حيث يتحدث الدكتور البهي عن هذه المرحلة، بفلاسفتها، وقارن: بيان للناس، الأزهر الشريف ٥٦/١.

الدين أمرًا شخصيًا لا شأن للدولة فيه، ولكن الدولة تقوم بحماية الكنيسة، وبخاصة في جباية الضرائب، والعلمانية وهي تسعى إلى فصل الدولة عن الكنيسة تبرر ذلك بالحرص على الدين المسيحي نفسه من أن يدخل في ميادين سياسية، واجتماعية ليست في اختصاصه، كما أنها تبرر ذلك بالحرص على استقلال السلطة الكنسية الطاغية، وعندما تعمل العلمانية على فصل أو إبعاد المؤثرات والمبادئ الدينية من حياة المجتمع العريضة ترفع شعارات التحرر والتقدم، مشيرة إلى خلو المسيحية من تعاليم في تلك الميادين.

وقد تم في هذه المرحلة تقسيم العمل بين الدولة والكنيسة "فالدولة لها حق السياسة والاقتصاد، والتعليم العام، والتشريع، والكنيسة لها ما يتعلق بالأسرة من زواج، ومراسمه، والتعميد، وطقوس الوفاة، ونظام الرهبنة، وحكم إلغاء الزواج...الخ"(١).

إلى هنا نستطيع القول بأن هناك دوافع، وأسباب جعلت رجال هذه المرحلة يقومون بفصل الدين عن الدولة، وقد حصر الدكتور "البهي"(٢) هذه الدوافع في كتابه (العِلمانية والإسلام)، في عدة نقاط:

١- الحرص على سيادة الدولة، وسيادة مطلقة في مواجهة سلطة الكنيسة، ووصاياهم السابقة في القرون الوسطى.

٢- اتهام المسيحية بأن تعاليمها تتنافى مع العقل.

٣- النظر إلى الدين في التربية على أنه ضد الطبيعة.

---

(١) الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، د. البهي ص١٥.

(٢) الإسلام والعلمانية، د. البهي، ص١٦، ط: مجمع البحوث الإسلامية.

٤- النزاع الذي دار بكثرة، وشغل الفكر حول السلطة الدينية والسلطة المدنية.

المرحلة الثانية:

هي مرحلة العلمانية الثورية، التي مثلها فلاسفة ثوربون من أمثال: "فيرباخ١٨٠٤-١٨٧٢م"، و"ماركس١٨١٨-١٨٨٣"، و"لينين١٨٧٠-١٩٢٤م"، وهي المرحلة التي استهدفت فيها هذه العلمانية الثورية هدم الدين، وتخليص الاشتراكية ومجتمعها من تأثيراته، وذلك لحساب العدل الاجتماعي - كما يزعم دعاة الشيوعية - ثم السعي إلى مجتمع يزول منه الدين تماماً، وتنمحي منه مؤسساته.

فالهدف للعلمانية الثورية، ليس مجرد فصل الدين عن المجتمع، والفصل بينه وبين الدولة، بل السعي في المدى البعيد إلى تخليص الفرد من الدين، وتحريره من مؤسساته.[1]

وهذه المرحلة مرحلة الجناح اليساري، أو مرحلة العهد المادي، أو ما يسمى بالثورة العلمانية، على حد تعبير الدكتور البهي، قد تبلورت هذه المرحلة في الفكر الماركسي، الذي دعا الناس إلى إلغاء الدين بالكلية، ونبذه من حياة المجتمع والأفراد، واستبدال المادة والعقل محله، واعتبر الفكر الماركسي الملحد الدين خرافة، والموجود هو المحسوس، وأساس الدولة ليس هو الله، ولا الدين، وإنما أساسها الإنسان وحاجاته، وليس الإنسان الفرد، بل جماعة العمال؛ ولذا يجب أن تكون جماعة العمل هي المعبود في

(١) العلمانية ونهضتنا الحديثة، د. محمد عمارة ص١٣، وقارن: بيان للناس ٥٦/٢.

مكان العبادة.[1]

ومهما يكن من أمر فإن العلمانية بدأت في مرحلتها الأولى بفصل الدين عن الدولة، ولكنها لم تقتصر على ذلك، بل تغير مخططها في مرحلتها الثانية ليستهدف إبعاد الدين عن الدولة، ومن كل ميادين الفكر والحياة، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو تعليمية، ويقتضي ذلك - كما يقول الأستاذ أنور الجندي -: "أن تخلو دساتير هذه الأمة من أي انتماء ديني، أو جعل شريعة الدين مصدرًا لقوانينها".[2]

فالدعوة العلمانية، نتاج يهودي، تلمودي في سداها ولحمتها، فهي ليست إلا فكر المخططات التلمودية التي رسمتها "بروتوكولات حكماء صهيون"، التي لا يخفى في كل سطر من سطورها حلم الصهيونية، وهو السيطرة على العالم كله، ولقد كانت الدعوة إلى إخراج الشخصية الإسلامية من مضمونها وحقيقتها ودينها، وسلخها من عقيدتها، دعوة معروفة المصدر، هي الصهيونية في ثوب العلمانية الصليبية.

والدعوة العلمانية تحمل عوامل أربعة هي[3]:

١- الديمقراطية التي تحل الإيمان بالدولة محل الإيمان بالعقيدة.

٢- القانون الوضعي يحل محل القانون السماوي ومحل شرع الله.

---

(١) العلمانية والإسلام، د. البهي ص١٩ - ٢٠ ط: مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) سقوط العلمانية، أ / أنور الجندي، ص٢٤، ط: دار الكتاب اللبناني - بيروت.

(٣) فوق أطلال الماركسية والإلحاد، محمد عبد الله الخطيب ص٣٤ - ٣٥.

٣- التعليم اللاديني الملحد، يحل محل التعليم الديني الإسلامي.

٤- النظام الاقتصادي القائم على الربا، يحل محل الاقتصاد الإسلامي.

هذه هي الدواهي الأربعة، فرضها الاستعمار على العالم الإسلامي، وذلك كخطوة أولى، يتلوها تحقيق الهدف الأكبر، وهو علمنة المسلمين، وإخراجهم كلية من إطار الإسلام، والمسلمون يدركون جيدًا، ويؤمنون إيمانًا لا يتزعزع، أن حقيقة النصر مرتبطة ارتباطًا كاملاً، بالتماسهم عقيدة الإسلام، وصيانتهم لها، وتحرير أنفسهم من التبعية لأي فكر دخيل مستورد، وإحياء فريضة الجهاد، والعمل على تحكيم شريعة الله تعالى، وبناء الأجيال على أساس المنهج الإسلامي.

والعلمانية تعني رفض القوانين التي يكون مصدرها الوحي الإلهي، وهي بذلك لا تساير الشرائع السماوية، فهي تحل الفواحش، والربا، ولحم الخنزير، وسائر المحرمات الواردة في القرآن الكريم، وفي الكتب السماوية الأخرى - قبل التحريف - كالإنجيل، والتوراة، لمجرد أن مصدرها الدين، طبقًا لما استقر عليه النظام العلماني بقاعدة فصل الدين عن الدولة.

الصهيونية ودورها في فصل الدين عن الدولة في أوربا:

لقد كان للصهيونية دور بارز في تغيير ملامح المسيحية، من ديانة تدعو إلى توحيد الله - تعالى - إلى ديانة تقول بالتثليث؛ ولذلك كان من السهولة بمكان القضاء على المسيحية، وإبعادها عن شئون الحياة، وقد حرصت الصهيونية على ترسيخ العلمانية من أجل السيطرة، وذلك من أجل إزالة الحاضر الديني، الذي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض.

وفي خضم الحوادث التي انفجرت في أوربا نتيجة للغلو الكنسي، الذي أوجد التذمر العام من الدين، وجد اليهود فرصتهم في الانتقام من المسيحية، وقد كان لهم مصلحة في سقوط المسيحية، وفصل الدين عن الدولة، يقول "وليام غاي كار": "لقد كان لليهود دور وراء فكرة فصل الدين عن الدولة"[(١)].

والذي ينظر ويتمعن في تاريخ اليهود، يجد اليهود أساس كل البلايا التي أصابت الإنسانية، وهم أيضًا وراء كل تزييف لحق بالمعتقدات الدينية الصحيحة، ولا يخفى على أحد أثرهم في تحريف الديانة الموسوية، وكذلك طمس الديانة المسيحية، بزعامة "شاول" اليهودي - بولس الرسول في المسيحية المحرفة -؟ وما قام به ابن السوداء "عبد الله بن سبأ" - اليهودي الأصل - الأديان الأخرى إلا السير من الجهد، حتى تتبع المسيحية في الانهيار، وسينحصر الدين ورجاله في أضيق نطاق، حتى تزول عنه الهيبة، وتسقط الحرمة، فتفقد تعاليمهم الأثر الطيب الذي كانت تجده من قبل".[(٢)]

وقد ظهر في "ألمانيا" الفيلسوف "نيتشه"، وهو يهودي الجنس، واتخذ العلمانية مذهبًا، ودعا الناس إلى فصل الدين عن الدولة، ومن بعده "فرباخ" مؤسس أول مدرسة علمانية في ألمانيا، وكانت عقيدته عدم الاعتراف بالأديان السماوية، وقد عبر عن ذلك بقوله: "يمكن للإنسان أن يعتنق دينًا

---

(١) الغزو الفكري أبعاده ومواجهته، ص١٥ نقلاً عن أحجار على قطعة الشطرنج، وليم غاي كار، ص٩٩.

(٢) السابق، ص١٥٥، نقلاً عن بروتكولات صهيون، البروتوكول السابع، والاتجاهات ص٧٢.

أرضيًا صافيًا، وبه يبتعد عن ديانة السماء"[١]، وهو يرى ضرورة الانتقال بالإنسان من الدين إلى المادية المتطرفة، فهي تحل محل الإيمان بالدين الإلهي في نظره.

ومن بعده جاء "كارل ماركس"، فتمذهب بهذا المذهب، أي في إبعاد الدين عن التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وانفرد "ماركس" بإنكار وجود الله تعالى، وبالتالي إنكار العبادات التي تعد في الفكر العلماني من المسائل الشخصية.

ولهذا يرى الدكتور "جلال أحمد أمين" أن التيار الماركسي فرع من فروع التيار العلماني، ولا يختلف عنه إلا في أنه يستوحي مصدراً آخر من مصادر الفكر، بتأكيده على قضية الصراع الطبقي".[٢]

أي أن العلمانية الغربية، واللادينية الماركسية - اليهودية - تتفقان في أن الإصلاح المنشود يكون عن طريق استبعاد الدين، وقد وضح الأستاذ "عباس محمود العقاد" دور اليهود في ظهور المذاهب الهدامة في مقال له تحت عنوان "الوجودية الجانب المريض منها"، حيث يقول: "ولن نفهم المدارس الحديثة في أوربا، ما لم نفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها، وهي أن أصبعًا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان،

---

(١) مجلة منار الإسلام، ص٧١، عدد مارس ١٩٨٥م.

(٢) تهافت العلماء في الصحافة العربية، المستشار سالم علي البهنساوي، ص٩٣، ط:٢، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ١٩٩٢م.

فاليهودي "كارل ماركس" وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأديان والأخلاق، واليهودي "دور كايم" وراء علم الاجتماع، الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة، ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب، واليهودي "سارتر" وراء الوجودية التي نشأت معززة بكرامة الفرد، فجنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال، ومن الخير أن ندرس المذاهب الفكرية، بل الأزياء الفكرية، كلما شاع منها مذهب جديد في أوربا، ولكن من الشر كل الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها، دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارضة، والتدبير المقصود"[1].

حقًا فقد أطلقت يد اليهود لتحقيق مخططاتهم الشريرة بصورة لم تكن متاحة لهم من قبل، فقد استطاع اليهود أن يتسلموا قيادة المجتمع الأوربي، يعملون ظاهرين ومستترين، ووضعوا المجتمع الأوربي بين ذراعيهم، وكانت النتيجة إثمار المذاهب التي تهدم المجتمع لإنتاج جيل ملحد، وكان أبرز ما يتمخض عن هذه الصراعات الانحلال الأخلاقي والتفكك الأسري، وتزعم هذا الاتجاه "دوركايم" بنظريته الاجتماعية، أو الدعوة إلى الإلحاد، والقول بأن الطبيعة تخلق كل شيء، ولا حد لقدرتها على الخلق كما يدعي أنصار مذهب التطور من الداروينيين.

فالعلمانية هي السيف المسلط، الذي حطم به اليهود القيد الذي يفصلهم في كل مجتمع، ويحول بينهم وبين السيطرة التلمودية، وأن الفصل بين الدين والدولة في الفكر الغربي المسيحي مفهوم لا غرابة فيه، ومنه أمكن

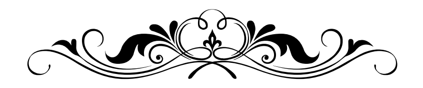
---

(١) السابق، ص٩٨.

إقامة العلمانية التي كانت أكبر ركيزة في تأكيد النفوذ التلمودي في المجتمع الغربي، ويؤكد ذلك الأستاذ "أنور الجندي" بقوله: "إن الدعوة العلمانية هي نتاج يهودي تلمودي أصيل، كان له أبعد الأثر في الفكر الغربي".[1]

ويقول الدكتور "الفاروقي": " علينا أن نتذكر أن تحرر اليهود لم يأت إلا نتيجة لنمو العلمانية في التنظيم السياسي والاجتماعي، أي أن إقصاء الدين عن السياسة والاقتصاد والاجتماع أدى إلى اعتبار المنفعة العامة والإنتاج، والخبرة والأهلية كأساس لجميع المعاملات والتنظيمات.[2]

من هذا يتبين أن العلمانية مرت بمرحلتين، حيث كانت معتدلة في المرحلة الأولى وتطرفت في المرحلة الثانية.



(١) سقوط العلمانية، ص١٧.

(٢) الإسلام والتيارات الفكرية المعاصرة، د. عابد منصور، ص٩، ط: الأمانة - القاهرة، ١٩٩٣م.

المبحث الثاني

انتقال العلمانية إلى البلاد الإسلامية

بعد أن سادت العلمانية في أوربا، وعزلت الكنيسة بل وعزلت الدين عن الحياة، تخلصت من الجمود العلمي والفكري الذي سببه طغيان الكنيسة وشدة تحكمها في المجتمع، فبدأت النهضة العلمية والصناعية في أوربا، مما سبب الظن بأن الدين عامة أي دين هو سبب التأخر، وتناسى الناس ما فعلته الكنيسة مما لا يوجد في الدين الإسلامي، فبدأ الانتقال للعلمانية من موطنها ونشأتها إلى العالم الإسلامي، وساعد في ذلك عدة وعوامل ووسائل في انتقالها تتبين في هذا المبحث من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: العوامل التي ساعدت على انتقال العلمانية إلى البلدان الإسلامية.

المطلب الثاني: وسائل نقل العلمانية إلى البلدان الإسلامية.

المطلب الأول

العوامل التي ساعدت على انتقال العلمانية إلى البلدان الإسلامية.

لقد كانت هناك عوامل ساعدت على انتقال الفكر العلماني إلى بلاد الإسلام، منها ما هو مخطط مرسوم، ومنها ما جاء عفوًا بغير تخطيط، لكنها تجمعت لتساعد على انتقال هذا الفكر الجديد؛ لتجد له مكانًا في أرض العروبة والإسلام.

١ - نهضة أوربا مع العلمانية:

مع قيام النهضة العلمية الغربية في العصر الحديث، وما نتج عنه من حضارة مادية، والتي رأت في حبس الدين في الكنائس وإبعاده عن الحياة، وأمام هذه النهضة المادية ظن بعض أبناء المسلمين والذين انبهروا للواقع المادي الغربي من حيث التقدم، ظن أولئك أن الدين يجب أن يكون حبيساً في المساجد ودور العبادة وأن يكون في ضمير الفرد فقط، لذا كان الصراع بين الفكر المادى صاحب الجذور الصليبية والمناهج العلمانية وبين الشرق الإسلامي أرضاً وجمهوراً وروحاً بالانتساب، وأمام هذه المواجهة وقع بعض من أبناء المسلمين فريسه لهذا التقدم المادى وانبهروا بهذه العلوم المادية في مقابل العلوم الدينية الإسلامية، حقًا لقد ظنوا بدينهم غير الحق، فالإسلام دين يدعو إلى التقدم والحضارة، وأكبر دليل على ذلك أن مبادئ الإسلام، وآثاره العلمية في الشرق الإسلامي، كانت واحدًا من أبرز الأسباب الإيجابية في قيام النهضة الأوربية وامتدادها إلى العصر الحديث.

فقد كانت أوربا تعيش في ظلام حالك، وجهل مطبق في تلك العصور

قبل صلتها بالشرق الإسلامي، فلما وقعت تلك الصلة في أشكال مختلفة، أخذت روح العلم والمعرفة، والتبصر بقيم الحياة تدب في أوصال أوربا، التي كانت قد جفت عروقها، وضعف نبضها، تبلدت فيها المشاعر والأحاسيس.

وليست هذه دعوى بلا دليل، وإنما حق قد أدرك بعض أبناء أوربا المعتدلين أثره، فأفصحوا عنه، وقد أصاب العقاد حين قال ما معناه في هذا الصدد: "إن ما نأخذه من أوربا بعد ازدهار نهضتها الحديثة، إنما هو من باب سداد الديون التي للعرب والمسلمين عليها، بما نهلته من المعارف والعلوم الإسلامية، قبل أن تعرف أوربا ما تعرفه الآن".[1]

فأوربا - إذن - مدينة للمعارف والعلوم الإسلامية، وما ثارت أوربا على الأوضاع الكنسية والإقطاعية فيها إلا بعد أن عرفت حلاوة الحرية والمساواة والعدل والمعرفة، التي كانت تظل الشرق الإسلامي بفضل الإسلام ومبادئه التي تآخى فيها الدين والعلم والعقل، واتسقت مع الفطرة الإنسانية السليمة أيما اتساق.

٢ - تخلف المجتمعات الإسلامية:

هذا العامل داخلي في مواجهة العامل الخارجي السابق، وبغض النظر عن أسباب هذا التخلف، فقد كان واقعًا قائمًا، كان ثمة تخلف فكري بعد فترة من النشاط الفكري، الذي لم يشهد له العالم مثيلاً، والذي أنتج علومًا عديدة في كافة الميادين.

---

(١) الإسلام في مواجهة الأيديلوجيات المعاصرة، د. عبد العظيم المطعني، ص١٢٠، ط: مكتبة وهبة، ١٩٨٧م.

ولعل هذا التخلف بدأ مع البعد شيئًا فشيئًا عن النبع الصافي، الذي كان يستقي منه الأولون، وقد صدق الله - تعالى - إذ قال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[1]،

إن التخلف في العالم الإسلامي وإن كان قد جاء على كل ناحية من النواحي، إلا أنه ليس أصيلاً في الأمة الإسلامية، فليس له جذور متأصلة في ثقافتها أو عقيدتها، وإنما هو وضع طارئ أملته الأحداث والخطوب التي مرت بها بعد مسيرة عامرة في قيادة البشرية، وتقدم ورقي لم يشهد له العالم مثيلاً، أفاضت به على الحضارة العلمية الحديثة في الغرب، فلم تترك جانباً إلا وكان للعلم الإسلامي أثر فيها، حتى قال أحد مفكريها:" ولما رأى الغرب اللاتيني ازدهار الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى انبهر بها وراح يتقبل الفكرة القائلة بأن الحضارة تفيض من الشرق إلى الغرب"[2].

ولكن المسيرة لم تستمر وتمزقت الأمة الواحدة دولاً عديدة، وخيم الجهل والفقر والمرض على الأماكن العامرة بالعلم والثروة والصحة، وضرب التخلف أطنابه في أرجاء العالم الإسلامي، وأصبح مشكلة عويصة تواجهه.

في ظل هذه الظروف، اهتز كيان المسلم وتزلزل، وبدأ يفقد الثقة بحضارته وفكره، وقدرته على أن يلحق بالمتحضرين الأوربيين، وصور له

---

(١) النور، آية: ٤٠.

(٢) حضارة الإسلام، جوستاف جرونيباوم ص٨٧، ترجمة: عبد العزيز جاويد، ط مكتبة مصر،القاهرة.

واقعه أنه لا سبيل للنهوض من غفوته إلا باعتناق كل ما هو أوربي، ونبذ كل ما عداه.

٣ - الاستعمار العسكري وما أعقبه من سقوط الخلافة:

لقد وقع العالم الاسلامي فريسة للاستعمار وذلك " في القرن التاسع عشر الميلادي حيث كان عصر النهضة المادية في أوربا قد أتى ثماره، فتفاقم نفوذ كثير من الدول الغربية، وتطلعت هذه الدول لبسط نفوذها بواسطة التوسع الاستعماري ويوم أن كانت تعيش أوربا أرقى سنوات نهضتها المادية كان العالم الإسلامى يمر بحالة بئيسة من الوهن والتدهور وخاصة الدولة العثمانية التي بدأ الوهن يدب في أطرافها، وبدأ الفساد ينخر في بيتها مما أطمع فيها أعظم دولتين استعماريتين آنذاك وهما إنجلترا وفرنسا لينعما باقتسام تركة " الرجل المريض".

ففي منتصف القرن التاسع عشر " ١٨٥٧م " تم استيلاء إنجلترا على الهند، وانتقلت السلطة من شركة الهند الشرقية إلى التاج البريطانى..... وفي نفس السنة كانت جيوش فرنسا تستكمل احتلال صحراء الإسلام الغربية التي بدأت باحتلال الجزائر " ١٨٣٠م " وبعد ذلك بقليل كان اقتطاع انجلترا من درة الخلافة، فكان احتلال مصر المسلمة ١٨٨٢م، ثم كان اقتطاع سوريا ولبنان، واحتلال فرنسا لها بعد الحرب العالمية الأول (١٩٢٠م)....... وهكذا انتقل تصور المسألة الشرقية من كيف يوقف الغرب زحفه دولة الإسلام ؟ ! إلى كيف يقطع الغرب أوصال دولة الخلافة الإسلامية، ويوزعها

فيما بينه ثم يجهز على الرجل المريض ؟ ! "[١].

ومن ثم " قامت سياسة الاستعمار تجاه المجتمعات الإسلامية المستعمرة على أمرين: الأول: استخدام العنف في الفتح. الثانى: الاستعانة بالعلم والاقتصاد على تنظيم استغلال المستعمرات وثرواتها المعدنية والزراعية على أسس جديدة "[٢].

وحين تم استعمار الدول الإسلامية بدأ المستعمر ينفذ أهدافه والتي يريد أن يطبقها في الدول الإسلامية المستعمرة.

وما لبث المستعمرون أن شرعوا في تحقيق مخططاتهم وأهدافهم الخبيثة في إبعاد المسلمين عن دينهم عن طريق:

١- القضاء على الحركات الإسلامية المناهضة للاحتلال مثل حركة " اسماعيل الشهيد في الهند، و " المهدى " في السودان، و " عمر المختار " في ليبيا، و " الخطابى " في المغرب.

٢- الهدف الثانى: إلغاء المحاكم الشرعية وإحلال القوانين الوضعية محلها[٣]. وبالفعل تم إلغاء الشريعة الإسلامية في الهند، والجزائر بدأ إلغاء الشريعة فيها عقب الاحتلال الفرنسى ١٨٣٠م، ثم مصر فقد تم إدخال القانون الفرنسي فيها، وتونس أدخل الفرنسيون قانونهم ١٩٠٦م،

(١) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربى. د / محمد البهى. ص٦.

(٢) العلمانية التاريخ والفكرة ص٦ د / عوض القرنى.

(٣) دفاع عن الشريعة، الشيخ محمد الغزالى ص١٧٤، ١٧٥.

وفي المغرب وضعوا فيه قانون مدنى مماثلاً لما في تونس[١].

تعد هذه من أهم الأهداف التي حاول المستعمر تنفيذها في المجتمعات الإسلامية سواء عن طريق القوة والقهر أم عن طريق السياسة والمكر والخديعة، ومن خلال هذه الأساليب دخلت العلمانية إلى البلاد في ركب الاستعمار.

الهزيمة النفسية لدى المسلمين:

أعقب الاحتلال العسكري ثم إسقاط دولة الخلافة، هزيمة نفسية خطيرة، فترسب في نفوس المسلمين أن الغالبين هم الأعلى بما يحملون من حضارة مادية أوتوا أسبابها، وإذا كان "المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر احواله وعوائده"[٢] فقد قلد المغلوبون الغالبين، قلدوهم في كل شيء، حتى مع اختلاف الظروف، واختلاف التكوين، ومن ثم كان تقبل العلمانية وغيرها أمرًا غير مستغرب.

الغزو الفكري[٣]:

ومن أهم الأسباب أيضاً في نقل العلمانية إلى العالم الإسلامي

---

(١) العلمانية نشأتها وتطورها، سفر الحوالي ص٥٣٩ بتصريف.

(٢) تاريخ ابن خلدون المسمى "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر" للعلامة عبد الرحمن بن خلدون١٤٧/١، ط دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان.

(٣) **الغزو الفكري هو "هجمات فكرية متلاحقة ذات صلة بتاريخ المسلمين وحاضرهم بطرح شبهات وأفكار مزيفة مستهدفة تراث الإسلام وأحوال المسلمين" الغزو الفكرى المفهوم والوسائل، نذير حمدان ص٧، ط مكتبة الصديق - القاهرة.**

والمجتمعات الإسلامية الغزو الفكري الذي جاء إلى المجتمعات الإسلامية بوجوه مختلفة، تحمل في طياتها تغريب المسلمين ومحاولة ابعادهم عن دينهم، فقد "جاءت طلائع الغزو الفكري -كما هو الحال في سبل الشيطان- متعددة الشعارات، متباينة الاتجاهات، عليها من البهرجة والبريق ما يكفي لتضليل وإغراء أمة منبهرة مهزوزة.

جاءت الاشتراكية والقومية والوطنية والديمقراطية والحرية وفلسفة التطور واللادينية، وغيرها من المسميات والشعارات، وسرت عدوى هذه الأوبئة سريان النار في الهشيم، وتغلغلت في العقول والقلوب"[(١)].

وقد حاول الغزو الفكر سلخ المسلمين من دينهم في كل مجالات الحياة، فجاءت العلمانية كمظهر من مظاهرة التي تبغي فعل ذلك.

الصحافة الموالية للاستعمار:

كان من أهم العوامل التي ساعدت على نشر العلمانية في الشرق الإسلامي، الصحافة اللادينية الموالية للاستعمار، والناطقة بلسانه، فقد كان لهذه الصحف دور كبير في تربية الشعب على الطريقة التي أرادها المستعمر، إذ كانت تعمل دائبة على إقناع الناس بضرورة احترام المحتلين، ويطالبونهم بالارتباط بالحياة الأوربية، وضرورة أن يتعلم أبناؤهم على الأساتذة الأوربيين.[(٢)]

ومهما يكن من شيء فقد تكالبت الدول الاستعمارية على احتلال

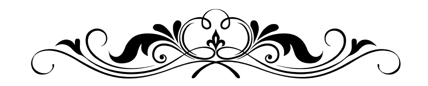
---

(١) العلمانية، سفر الحوالي ص ٩.

(٢) جذور العلمانية، د. السيد أحمد فرج، ص٥٦.

العالم الإسلامي، دولة بعد دولة، وإقليمًا بعد إقليم، وعمل الاستعمار جاهدًا على نشر العلمانية في الدول الإسلامية، فسعى في الأرض فسادًا، وذاق المسلمون من جرائه الأمرّين، ومنذ أن فرض الاستعمار الأجنبي نفوذه على المجتمعات الإسلامية، عمل بكل ما أوتي من جهد على إبعاد المنهج الإسلامي من تطبيق الشريعة الإسلامية، وعمد إلى مناهج التعليم، فجعلها خالية تمامًا من التربية الدينية، وذلك كله بهدف خلق أجيال تابعة للفكر الغربي، وتظهر أخطار الاتجاه العلماني المدمرة في ميادين الأخلاقيات والسلوكيات، والتعامل الاجتماعي بين الأفراد في شتى صوره، فإبعاد الدين عن هذه المجالات وتسفيه تعاليمه وتشويه صورتها، وإحلال أشكال قيم غريبة لا دينية محلها، هو السمة البارزة للنشاط العلماني.

من هذا يتبين أن العوامل التي ساعدت على انتقال العلمانية للمجتمعات الإسلامية تمثلت في نهضة أوربا مع العلمانية مما نتج عنه الإعجاب بالعلمانية والانبهار بها، وتخلف المجتمعات الإسلامية، والاستعمار العسكري وما أعقبه من سقوط الخلافة، والهزيمة النفسية لدى المسلمين، وكذلك الغزو الفكري والاستعمار الأوربي للمجتمعات الإسلامية.



المطلب الثاني

وسائل نقل العلمانية إلى بلاد الإسلام

بعد الحديث عن العوامل التي أدت إلى انتقال العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية يأتي الحديث عن أبرز الوسائل التي حملتها إلى المجتمعات الإسلامية والتي تمثلت في عدة وسائل من أهمها ما يلي:

١ - المستشرقون[(١)] :

لقد كان للمستشرقين أثر كبير في نقل العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية، فكتاباتهم المليئة بالافتراءات على الإسلام وبث الشبهات عند المثقفين والعامة إنما هدفها هو التشكيك في الإسلام كدين بكل ما يشتمل عليه من عقيدة وشريعة وأخلاق، فإذا تم لهم ذلك بدأوا بالمرحلة الثانية، وهي مرحلة "ملء الفراغ بما يريد، عن طريق مدارس التعليم، ومعاهده، وجامعاته، وعن طريق أندية الثقافة والفن، وعن طريق المكتوبات والمنشورات، من رسائل، وكتب أخبار، وصحف ومجلات دورية، وكتب علوم مبسطة يدسّ فيها العدو ما يريد من أفكار ونظريات، وعن طريق الإذاعة

---

(١) تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د مانع بن حماد الجهني ٢/٦٨٧) .

والتلفزيون، وسائر وسائل الإعلام"[١].

وهي الخطة التي نبه علها أحد المستشرقين بقوله:" وإذا أردتم أن تغزوا الإسلام، وتخضدوا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها، والتي كانت السبب الأول والرئيس لاعتزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم.... عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية، بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم وتاريخهم، وكتابهم القرآن، وتحويلهم عن كل ذلك بوساطة نشر ثقافتكم وتاريخكم ونشر روح الإباحية، وتوفير عوامل الهدم المعنوي، وحتى لو لم نجد إلا المغفلين منهم، والسذج البسطاء لكفانا ذلك، لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها في القطع أحد أغصانها..."[٢].

ولقد تم ما أراده الغزاة، فأصبحت أجيال من شباب الأمة الإسلامية، لا يعرفون من الدين إلا رسمه، وخضعوا للأفكار المستوردة ومنها العلمانية بالرغم من أن الله قد وضع للمسلمين دستوراً خالداً وجعل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وجعل طريق الحق واضحاً جليا وذلك من لدن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يوم القيامة.

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حسن حبنكة ٢٦١/١، دار القلم، دمشق، ط الثامنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(٢) المرجع السابق ٢٦٣/١.

٢ - المبشرون:[(١)]

لقد كان المبشرون أيضاً إحدى الوسائل الهامة في نقل العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية، إذ غاية التبشير زعزعة إيمان المؤمن، وسلب العقيدة الصافية النقية منه، وبذلك يكون قابلا لأي مذهب.

وغاية التبشير الحقيقة هي التي أعلنها القس زويمر في مؤتمر القدس التبشيري عام ١٩٣٥م ليس تنصيره وإنما جعله مخلوقا لا صلة له بالدين، وهي العلمانية في أقبح صورها إذ يقول موصياً المبشرين ومعلما لهم: ""أيها الإخوان الأبطال، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية، واستعمارهم لبلاد الإسلام، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدّس، لقد أدّيتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن أداء، ووفقتم لها أسمى توفيق. وإن كان ليخيل إليَّ أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه.... مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمّدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإنَّ في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية. وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة

---

(١) التبشير: التبشير: تعريف أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها لتنصير الشعوب غير النصرانية، ولا سيّما المسلمون، ثمّ تحوّل هدف التبشير داخل الشعوب المسلمة إلى غاية التكفير، وإخراج المسلمين عن دينهم، ولو إلى الإلحاد والكفر بكل دين. (أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حسن حبنكة ٥٣/١) .

السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه، وتهنئكم الدول المسيحية والمسيحيون جميعاً عليه كل التهنئة.... إنكم أعددتم شباباً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار، لا يهتم للعظائم ويحب الراحة والكسل. ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز فللشهوات، ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء.

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج، وباركتم المسيحية، ورضي عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب"[(١)].

وهكذا كان المبشرون يعملون على سلخ المسلم من إسلامه وتسليمه للنزعات التي لا تعترف بالأديان وأبرزها العلمانية.

٣ - المبعوثون والناقلون للفكر الغربي من أبناء المسلمين:

كذلك كان وسائل نقل العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية بعض المبعوثين إلى المجتمعات الأوربية، فعاد هؤلاء محملين بالأفكار العلمانية بعد انبهارهم بها في المجتمعات الأوربية، فظنوها ماء وما هي إلا كسراب بقيعة.

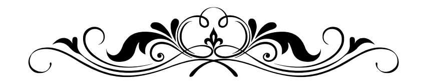
وقد شهدت العشرينات من القرن الماضي أعنف موجة ثقافية تعمل

---

(١) انظر: جذور البلاء، عبد الله التل ص٢٧٥ ـ ط المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

للانسلاخ الكامل عن الإسلام، وقد تزعمها المثقفون المتفرنجون، الذين تربوا تربية أوربية، وتثقفوا بثقافة غربية في معاهد العلم الإنجليزي والفرنسي، وكان من الطبيعي أن يعود هؤلاء الشباب بعد تعليمهم في فرنسا وإنجلترا بآراء حديثة، تتمثل في التحرر الفكري، والتحرر الاقتصادي، وتتجه بأنظارها إلى هذه الدولة الأوربية كمثل أعلى تحاول تقليده، وأكملت هذه المجموعة من الجيل الناشئ مجهودات بعثات التبشير، والبعثات العلمانية التي كانت تعمل في الأقليم منذ بضع سنوات"[(١)].

من هذا يتبين كيف عمل الاستشراق والتبشير وكذلك البعثات العلمية كوسائل لنقل العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية.



---

(١) جذور العلمانية، ص٧١ - ٧٢، نقلاً عن المشكلة الفلسطينية د. جلال يحيى، ص٦٣، مجلة الكاتب العدد ٦٧ - أبريل - ١٩٦٩م، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

المبحث الثالث

مجالات نشر العلمانية وأثارها على المجتمعات الإسلامية

حرص الغرب منذ وطئت أقدامه التراب الإسلامي على نشر العلمانية بأكثر من سبيل بين أبناء الأمة المسلمة، التي ظلت وفية لكتاب ربها، وسنة نبيها صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وكانت بهذا أسعد حظًا من رجالات الدنيا كلها، ولهذا فشل المخطط في المواجهة بينها وبين المسلمين، ولذا فقد عمل هذا المخطط على أن يغير برامجه، فوضع السم في الدواء، وعمل على هدم الإسلام من داخله، فأقام رجالاً يتكلمون بصوتهم، ويجاهدون بتعاليمهم، وهم يحملون اسم الإسلام وينسبون إليه، وادعوا أن الإسلام رجعية وتعاليمه بالية تقف ضد التقدم والحضارة، ودعوا النساء إلى الترجل، وظهورهم في ملابس الرجال، والرجال في ملابس النساء، فليس غريبًا أن نرى شابًا يلبس سلسلة ذهبية في رقبته، وفتاة لابسة البنطلون الحاذق على فخذيها، وكل يعرض نفسه شاهرًا الرذيلة، ولقاء في النوادي بين الجنسين تحت الأضواء الخافتة، والموسيقى الصاخبة تحت شعار المدنية، والتقدم، والحضارة.

ولا جرم أن المخططين لنقل العلمانية، بحثوا علميًا عن وسائل النقل السريعة، والمؤثرة فوجودها في هذه المجالات: التعليم، والإعلام، والقانون، والأخلاق، والأسرة، ومن ثم فقد جاء هذا البحث في خمسة مطالب:

المطلب الأول: علمنة التعليم.

المطلب الثاني: علمنة القانون.

المطلب الثالث: علمنة الإعلام.

المطلب الرابع: علمنة الأسرة والأخلاق.

المطلب الخامس: رواد الفكر العلماني في الشرق الإسلامي.

المطلب الأول

علمنة التعليم

التعليم هو الجهد الذي يقوم به آباء الشعب ومربوه؛ لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها، ولقد اهتم الإسلام غاية الاهتمام بالتعليم حتى كانت الكلمة الأولى من قطرات الوحي المنزلة على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حثاً على العلم والتعليم، فكانت أول كلمة هي (اقرأ)، مما يدل على الأهمية البالغة للتعليم في تشكيل الأجيال المقبلة.

إن أهمية التعليم تنبع من أن " التعليم طريق مختصر وممهد لتضليل الأفكار ولتشويه الحقائق ولبلبلة الآراء.. قد يسهل على المدرس الأوروبي "شرقيًا كان أو غربيًا" أن يضع الأمور حيثما يشاء، وبالمقياس الذي يخدم مصلحته ثم يوجه الأنظار إليها، ويسلط الأضواء عليها، فإذا الجيل بأكمله يرى ما يراه المدرس، وإذا بالطالب يهوى ما يهواه مدرسه، ويبغض ما يبغضه مدرسه، ويرى المستقيم مائلًا والمائل سويًا، والصحيح خطأً والخطأ صحيحًا، لأنه إنما ينظر إلى الأشياء بمنظار مدرسه.. وهكذا تقلب المفاهيم وتنكس الحقائق وتتغير المبادئ تبعًا لمطامع ونوايا المدرس، وبهذه الطريقة تتمكن الفئة الضالة المضلة من تغيير اتجاه جيل من الأجيال، وإذا فسد الجيل فمن العسير بمكان إعادة الأمور إلى أوضاعها والمياه إلى جداولها، والقيم إلى مفاهيمها، ومن العسير أيضًا إبعاد الشبهات بعد انتشارها، وتصحيح الأفكار بعد فسادها"(١).

---

(١) أضواء على الثقافة الاسلامية، د. نادية شريف العمري ص٢٣٨، ط مؤسسة الرسالة، ط =

ولما كان للتعليم هذه الأهمية الكبرى في تنشئة الأجيال رأى الاستعمار من أول يوم وطأت قدماه أرض المسلمين " أنه لا سبيل للعمل بين المسلمين أجدى وأنفع لخدمة مصالحهم وزعزعة إيمان المسلمين سوى التعليم، ومن هنا فقد وجهوا كل عنايتهم نحوه وشرعوا ينشئون المدارس ويقيمون المعاهد لعلها تصل قلوب المسلمين بالمسيح !! أو على أقل تقدير أن تجعل عقيدتهم مهزوزة وأفكارهم مشوشة حتى لا يكون للإسلام قرار في نفوسهم، وهذا ما عناه المبشر أو على الأصح المنصر (تكلي) حين يقول: يجب أن نشجع إنشاء المدارس وعلى الأخص مدارس التعليم الأوروبي، الغربي، لأن كثيرين من المسلمين قد تزعزع إيمانهم عندما تعلموا اللغة الإنجليزية، وأن الكتب الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمرا صعبة للغاية.... ولا يكاد يوجد بلد إسلامي يخلو من هذه المدارس الغربية، التي تبث السموم في العقيدة الإسلامية بقصد تشكيك التلاميذ في دينهم"(١)

ومع قدوم الاستعمار انتشرت المدارس الأجنبية انتشار النار في الهشيم، ومن أمثلة تلك المدارس التي ملأت المجتمعات الإسلامية " في لبنان الجامعة الأمريكية في بيروت التي ما زالت تنفث سمومها في لبنان. وكذلك جامعة القديس بولس. وفي القاهرة يوجد عدد من المدارس والكليات منها الجامعة الأمريكية بالقاهرة. وكلية البنات الأمريكية بها أيضا،

=

التاسعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(١) مجالات انتشار العلمانية وأثرها على المجتمع المسلم، د. محمد زين الهادي ص١٦، ط دار العاصمة ـ الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

ونجد في السودان قد أسست كلية غردون التذكارية الغرض التنصير أساسية، ولكن الله أراد أن تكون فيها بعد منارة للإسلام تخرج كثيرة من الشباب المتحمس لدينه الذاب عن حياضه، كما نجد في السودان أيضا كلية ومدارس « كمبوني، التي تدرس من الروضة، ومرورا بكل المراحل حتى مستوى الكلية، فهي أخبث المدارس التنصيرية في السودان لاتخاذها شعار الحياد الذي تتدثر به غطاء لمخططها التنصيري الخبيث الماكر.... ونجد في الشرق الأقصى في أند ونسيا الجامعة الكاثوليكية بمدينة جاكارتا العاصمة، تعمل على جذب الشباب الأندونيسي المسلم من الجنسين. وفي تركيا توجد في مدينة استانبول كلية روبرت على المستوى الجامعي اسست مدارس كمبوني إحياء الذكرى القس الإيطالي المنصر من افريقيا عامة ومن السودان خاصة واسمه كاملا: المطران دانيال كمبوني، والذي توفي في الخرطوم عام ١٨٨١ م، ونسبة لنشاطه التنصيري فقد عينه البابا أسقفا لأفريقيا الوسطى كلها "[١].

لقد شن الغرب حملة على التعليم الديني في مصر، والذي كان يخضع للأزهر، إذ عد خريجي الأزهر نوعاً من العقبة في طريق التقدم على النموذج الغربي، لأنه يعلم التعصب للإسلام!!، وفي هذا يقول اللورد لويد الذي خلف اللورد كرومر كمندوب سامي لبريطانيا في حكم مصر عام ١٩٠٧م يقول كاشفا سياسة التعليم التي غايتها طرح المتعلم في أحضان العلمانية: "إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين، والتي كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزًا في

(١) المرجع السابق ص١٧.

طريق أي إصلاح تعليمي، وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدرًا عظيمًا من غرور التعصب الديني، ولا يصيبون إلا قدرًا ضئيلاً من مرونة التفكير والتقدير، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه خطوة جليلة الخطر، ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه، فحينئذ يصبح الأمل محصورًا في إصلاح التعليم اللاديني الذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح، وعندئذ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين: فإما أن يتطور، وإما أن يموت ويختفي".[1]

فهو يريد للأزهر أن يتطور حتى يواكب المنهج العلماني في التعليم، أو يختفي من التاريخ ومن الدنيا،، وهو ما حققوا بعضه كما يقول "زويمر" في مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م: "لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وأنكم أعددتم نشئًا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقًا لما أراد له الاستعمار المسيحي، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يعرف همه في الدنيا إلا الشهوات"[2].

ومفاد هذه النصوص، أنه لما كانت البلاد الإسلامية في سابق عهدها إسلامية التعليم، فقد كبر على الاستعمار الغازي أن يترك للمسلمين دينهم،

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين ص١٤٢، ط دار الفرقان، مصر.

(٢) جذور البلاء، عبد الله التل ص٢٧٥.

بعد أن أبى عليهم أن يترك لهم أرضهم، إن القائمين على تنفيذ علمنة المنطقة الإسلامية أدركوا خطر التعليم، إنه هو الذي يشكل النماذج الجديدة التي إليها مقاليد البلاد، فإن أردناها عِلمانية فليكن التعليم علمانيًا.

وعلمنة التعليم سارت على ساقين:

أ - **إحداهما** تقضي على التعليم الديني، وتكتم أنفاسه بسبيلين: التطويق من الخارج، والتطوير من الداخل.

أما التطويق من الخارج: فلم تقتصر فقط على الترحيب بالتعليم غير الديني، بل اعتمدت على الازدراء بالتعليم الديني، والازدراء لمعلمه وطالبه بالكلمة الخبيثة، والكاريكاتير الخبيث، والتمثيلية، والمسرحية، والفلم، كل ذلك استهزاء وسخرية حتى يبعد الناس عنه، ومن ناحية أخرى اعتمدوا على وسيلة علمية، وهي قفل وظائف الخريج على التدريس، أو الوعظ، أو المأذونية، وخفض رواتب هؤلاء بما يجعلهم دون خريج الجامعة غير الدينية.[١]

وأما التطوير من الداخل: فقد نصح به "كرومر"، عام ١٩٠٦م كوسيلة للتخلص من جمود الأزهر وتعصبه، ونفذ عام ١٩٦١م بإصدار قانون تطوير الأزهر، وقد كان الهدف خبيثًا بإزالة التركيز الذي كانت تتميز به الدراسات

(١) في أوائل القرن العشرين إلى ثلثه، كان راتب خريج الجامعة غير الإسلامية يزيد على خريج الجامعة الإسلامية أربعة أضعاف، فبينما كان خريج الأزهر يتقاضى ٣ جنيهات، كان خريج الجامعة المصرية يتقاضى اثني عشر جنيهًا.
راجع: كتيباً تحت عنوان: المشايخ والاستعمار، ط: الأردن.

الأزهرية، وكانت تحافظ به على التراث القديم، ففضلاً عن المناهج والبرامج "الهشة"، فقد صار إلى جوار الكليات الثلاث التقليدية أضعافها من التي تحمل اسم الأزهر، وليس لها من دراستها إلا قشور القشور، وبذا جرى تمييع هذا اللون من الدراسات الدينية.

ب - **أما الثانية**: فكانت نشر التعليم العلماني وتشجيعه في مراحله المختلفة، وبمناهجه المختلفة، وساعد على ذلك عدة أمور:

إضفاء اهتمام الدولة على هذا اللون من التعليم، وإفساح المجال أمام خريجيه لشغل الوظائف العليا والمناصب الهامة.

ابتعاث البعثات من خريجي هذا اللون من التعليم؛ لحمل الألقاب العلمية الرفيعة، الماجستير والدكتوراه، وإضفاء الهيبة والاحترام على أصحابها، مع ما يجري معهم في الخارج من علمنة شديدة.

فتح المدارس الأجنبية التي اهتمت باستيعاب أبناء الطبقة الراقية (الأرستقراطية) يعلمونهم كيف يلوون ألسنتهم باللغة الأجنبية ويتباهون بها... ويتعلمون كل ما هو غربي من التقاليد والأخلاق والمثل العليا[1]

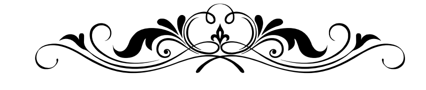
وهكذا لم تخمد نار العلمانية وحقدها على الإسلام والمسلمين؛ لأنه لم يبق أمامهم سواه بعد أن ضيعوا المسيحية بتحريفها، وخروجها عن مضمون الدين، فباتت بالنسبة لهم كالدمى يحركونها كما يشاءون، ثم وجهوا نظرهم إلى الإسلام، وأقاموا أناساً يناصرونهم المبدأ، وسلطوا ألسنتهم

---

(١) الإسلام وقضايا العصر، د ابراهيم الدبو وآخرون ص٩٠- ٩١، ط دار المأمون ، عمان، ط الثانية ١٤٣٣هـ٢٠١٢م.

وأبواقهم ضد الإسلام، وحتى الفتاة المتحجبة تلاقي الضرر، فقالوا: إن الحجاب الذي أمر الله به المسلمات العفيفات بأنه خيمة تحجب به المرأة من كشف زينتها وإبراز خلاعتها.

وهكذا نجد علمانية التعليم قد أدت حتى الآن إلى تقليص حجم التعليم الديني، وتقليص نفوذ خريجيه، وإبعادهم عن مراكز التأثير ومراكز صنع القرار، بل وعن المراكز التوجيهية العامة، ويترتب على ذلك ازدياد حجم التعليم العلماني، وانتشار آفاته في الداخل والخارج، وأهمية خريجيه في مواقع التأثير والتوجيه وصنع القرار.



المطلب الثاني

علمنة القانون

وهذه أخطر ما وصلت إليه العلمانية، وقد وصلت إلى هدفها بخبث وذكاء، فقد عملت على إبعاد الإسلام عن التطبيق العملي، حتى يبقى مجرد هيكل أقرب إلى الموت منه إلى الحياة، فأبعدوا قوانين الإسلام، وأحلوا بدلاً منها قوانين وضعية.

" وكان من الثمار المرة و من آثار الدعوة إلى العلمانية ظهور قوانين وضعية تحكم بها المحاكم المدنية، وهي قوانين تنتظم معظم شئون الحياة والعلاقات المدنية والتجارية والجنائية والإدارية والدولة، أما الشريعة الإسلامية التي حكمت ديار الإسلام ثلاثة عشر قرنا فقد زحزحت عن مكانها وحصرت في ركن ضيق تنظم وتقضي فيه في بعض بلاد المسلمين وهو ما يتعلق بشئون الأسرة أو ما يسمى بالأحوال الشخصية التي تنظر فيها المحاكم الشرعية وحتى هذا الركن الضيق أو الجانب اليسير من حياة الأمة لم يسلم من تدخل يد الأهواء بين الحين والحين"(١).

فانبهار بعض المسلمين بما يرونه في الغرب من تقدم جعلهم يظنون العيب في القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية، مما ينبغي لها التغيير بالقوانين الوضعية " وكان أول مظهر لعلمنة القانون في تركيا عام ١٨٥٧م، ثم تلاه في مصر عام ١٨٧٥م صدور بعض القوانين مستمدة من غير الشريعة

(١) أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، د. محمد رشاد عبد العزيزص٧٢، ط دار المحدثين للبحث العلمي، القاهرة، ط الثانية ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

الإسلامية، ثم تلاه في عام ١٨٨٣م إنشاء المحاكم الأهلية، تحكم بالقانون بعيدًا عن الشريعة الإسلامية.[1]

وأكثر الدول الإسلامية - بكل أسف - تمت فيها علمنة القانون، والدول التي لا تزال فيها بقايا تطبيق الشريعة تحيط بها المؤامرات من كل جانب لعلمنة القانون، ومحاولة إحلال "النظام" والأنظمة محل الشريعة، وتولي "اللجان النظامية" أعمال المحاكم الشرعية.

فبعد أن كانت شريعة الله هي القاسم المشترك، الذي يحكم الحاكم والمحكوم، ويدعو إلى إقامة الحدود حتى تهدأ النفوس، ويشعر الإنسان بالأمن والأمان، عمل الغرب على علمنة القانون الإسلامي، فقد حكمت معظم بلاد العالم الإسلامي بقوانين فرنسية، وأسقطت القوانين الإسلامية في تركيا من يوم سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، فقد جرفتها العلمانية، تعليمًا وإعلامًا وقانونًا، واورثت مجتمعها: فراغًا عقديًا، وفراغًا عقلياً، وفراغاً خلقياً، واضطراباً في الموازين، وانحلالاً وتفسخًا.

وهكذا أصبحت القوانين الوضعية هي الأصل في المحاكم بينما التشريع الإسلامي ظل في مكانه الضيق الذي لا يتعداه وهو الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث، وانعزل عن باقي الحياة بفعل العلمانية التي خططت لذلك.

---

(١) أثر مدرسة القضاء الشرعي على الفكر الإسلامي المعاصر، محمد عبد الوهاب غانم ص١٧، ط دار المقاصد، ط الأولى ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.

المطلب الثالث

علمنة الإعلام

إذا كان للتعليم خطورته من ناحية تكوينه، وتشكيله لعقل المستقبل وقلبه، فقد صار للإعلام بوسائله المختلفة خطورته وتأثيره على عقل اليوم وقلبه، مع مشاركته في صياغة عقل الغد وقلبه، وإذا كانت العلمانية في التعليم أقدم وأخطر، فإن العلمانية في الإعلام أعم وأشمل، ومن هنا تكمن خطورتها.

ولئن كان التعليم يمتد إلى قطاع الطلبة، فإن الإعلام يمتد إلى جميع القطاعات، ما كان منها متعلمًا وما كان غير متعلم، ما كان منها قارئًا وما كان غير قارئ، بل ما كان منها راغبًا وما كان غير راغب، ليشارك بكل الإمكانات والحواس على صياغة الرأي العام، صياغة خاصة يتقبل معها العلمانية.

"إذن خطورة الإعلام تكمن في سيطرته على عقول الملايين ببرامجه الهابطة، وأكثر هذه الملايين ساذجة تؤثر فيها الكلمة مقروءة، أو مسموعة، أو منظورة فإذا كانت طيبة، كانت كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن الله، وإن كانت خبيثة كانت كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، من هنا كان اهتمام الإسلامي بالكلمة وأمانتها، فإما أن ترتفع بالمؤمن إلى منزلة الشهداء، وإما أن تهوي بقائلها في النار سبعين خريفًا.

وللأسف فإننا نستطيع أن نقرر: أن وسائل الإعلام المختلفة من صحافة، وإذاعة، وتليفزيون، وسينما، ومسرح مسخرة اليوم لإشاعة الفاحشة، والإغراء

بالجريمة، والسعي بالفساد في الأرض، بما يترتب على ذلك من خلخلة للعقيدة، وتحطيم للأخلاق والقيم والمثل، وهما - العقيدة والأخلاق - أساس لبناء الإسلام، فإذا انهدم الأساس فكيف يقوم البناء"[(١)]

فقد سخر العلمانيون أنفسهم إلى السعي إلى وسائل الإعلام، وركبوا موجة الدعاية لآرائهم من خلال قنوات السينما والمسرح، والصحافة والتلفزيون والإذاعة، وحاولوا أن يوجدوا عملاء لهم في كل مجال من هذه المجالات، فأعلن عن الفاحشة، ويستضاف دعاة العلمانية في بلاد الإسلام، ويدعى الناس إلى السماع إلى أحاديثهم كما حدث في استضافة الوجودي "سارتر" وعشيقته "سمون دي بوفوار عام ١٩٦٦م" في أسرة تحرير الأهرام، ويدعى الرجال والنساء ليروا هذه القدوة القبيحة السيئة، وليسمعوا عنها السم الزعاف.[(٢)]

ولقد كان من أوائل وسائل الإعلام الصحف، ولا زال لها خطرها، ومعها المجلات الهابطة، لكن الإذاعة تخاطب مساحة من الناس أوسع على اختلاف ثقافتهم، واختلاف اهتمامهم، والتلفاز من الوسائل الخطيرة التي غزت كل البيوت تقريبًا، لتنقل إلى الناس في داخل بيوتهم ما يرغبون، وما لا يرغبون بغير استطاعة منهم تجنب هذه الوسيلة، أو توقيف بعض برامجها، وباعتماد على حاستين خطيرتين في وقت واحد، السمع والبصر؛ ليتخللاهما

---

(١) قراءة في فكر النخبة، محمد حامد ص٣٩، ط دار دروب، ط الأولى ٢٠١٩م.

(٢) أديان ومذاهب معاصرة، د عبد العزيز تمام يوسف ص١١٦، ط دار المنار الإسلامية ١٩٨٩م.

إلى الفؤاد ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾[1].

وتشارك التليفزيون السينما مع تأثير أشد، وأخطر من هؤلاء "الفيديو"، الذي صار بعيدًا عن كل رقابة، وصارت تجارة أفلامه من أخطر التجارات، وغزا بيوت المترفين، يجلسون إليه الساعات، يفسدون أذواقهم، ويفسدون قلوبهم وعقولهم.

ونختم حديثنا عن علمنة الإعلام بالتعليق عليه: بما أوصى به المؤتمر العالمي المنعقد في عام ١٩٧٧م بالمدينة المنورة، لتوجيه الدعوة، وإعداد الدعاة حيث جاء فيه: "ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى إليها إعلامنا، ولا يزال إلى اليوم يتردى، فبدلاً من أن يكون منبر دعوة إلى الحق، ومنار إشعاع للخير، صار صوت إفساد وصوت عذاب، وخفت صوت الدعاة وسط ضجيج الإعلام الفاسد، وسكت القادة فأقروا بسكوتهم، أو جاوزوا ذلك، فشجعوا وحموا، وزلزل الناس في إيمانهم وقيمهم ومثلهم، ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق.[2]

ويقول الأستاذ "فهمي هويدي": " إن الباحث إذا حاول أن يتابع الصور التي ترسم في إعلامنا عن الإسلام وتجربته، سوف يخرج بانطباعات مخزية، عن مدى التشويه والتحقير الذي تعرض به تلك التجربة".

---

(١) الأنعام آية: ١١٣.

(٢) المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، المنعقد في عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، بالمدينة المنورة، مندًدا بحال الإعلام في البلاد الإسلامية.

ويقول الدكتور " إدريس الكتاني ": " إن الباحث الاجتماعي المسلم يقف مندهشًا من سلوك المسئولين عن الإعلام في الدول العربية الإسلامية ذات القيم والمبادئ والحضارة، التي تختلف اختلافًا كليًا عن حضارة الغرب في ميدان العقيدة والشريعة والقيم الإنسانية والأخلاق، ومع ذلك فهي تفتح الأبواب على مصراعيها تجاه غزوها بأفلام العنف والإجرام والجنس، سواء في القاعات السينمائية، وفي شاشات التليفزيون، وهي تعلم أن هذه الأفلام تخضع لتخطيط، وتوجيه الصهيونية العالمية وحلفائها من الملاحدة والإباحيين والرأسماليين، الذين لا يهمهم تدمير أخلاق الشعوب بقدر ما يهمهم ابتزاز أموالهم، الشيء الذي جعل الغيورين على الأخلاق في بعض دول الغرب يثورون ضد هذا الانحطاط الأخلاقي، ويحذرون من أخطاره، هذا فضلاً عما تسببه هذه الأفلام من تعميق وتوسيع ظاهرة الإجرام، والانحراف وإشاعة روح التخريب والتمرد بين الشباب ضد نظام الأسرة والمجتمع والدولة.[1]

ومن أجل هذا جاء في توصيات ندوة الهوية الثقافية، وتفاعلها مع الثقافات الأجنبية بدول الخليج في ختام أعمالها يوم ١٩٨٨/٢/١٧م ما يعبر عن إدراكها لخطورة الغزو الثقافي والإعلامي، إذا أوصت بالاهتمام بالإجراءات القانونية التي تحقق الرقابة المطلوبة على تدفق أشرطة الفيديو، التي لا تتفق مع القيم الاجتماعية الأصيلة السائدة، والعمل على تنمية الوعي

---

(١) دورية سلسلة الدفاع الاجتماعي التي تصدرها المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة - العدد التاسع - وهو بعنوان: الآثار السلبية لمشاهد العنف والإجرام في التليفزيون والسينما على السلوك الإنساني، ص٦٢.

الاجتماعي والأسري بأخطار مثل هذه الأشرطة.(١)

ويتابع الإمام الأكبر - المرحوم - الشيخ "جاد الحق"، شيخ الأزهر الموقف في كلمة نشرت بالأهرام فيقول: " هل يجوز في عرف العقلاء أن نكافح جراثيم الأمراض والأوبئة، ونترك تجار أوبئة الفكر ومروجي أحاديث الإفك يضلون الناس، ويشغلونهم عن القضايا الجادة في حياتهم، ويحاولون زعزعة عقيدة الإسلام في قلوب أهله وما هم ببالغي ذلك بإذن الله تعالى:﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢] كل ذلك باسم الحرية التي أساءوا فهمها واستعمالها"[٣].

وإذا كان شيخ الأزهر - رحمه الله - قد أشار في كلمته أن هؤلاء قد يفعلون ذلك باسم الحرية، التي أساءوا فهمها واستعمالها، فإننا نقول: ليتهم كانوا يفعلون ما يفعلون باسم الحرية، إذن لوجدت الكلمة الإسلامية الصحيحة مكانها اللائق الذي افتقدته في وسائلهم المعاصرة، ولكن القضية هي قضية العلمانية، قضية مضادة للدين واستبعاده من شئون هذه الحياة الدنيا، الأمر الذي يجعلهم يسارعون إلى محاصرة الكلمة الإسلامية وإرهابها، ورفع المدفع في وجهها عندما يحسون بأنها تزحف نحو قواعدهم لتأتي عليها.(٤)

---

(١) جريدة الخليج بتاريخ ١٩٨٨/٢/١٨م.

(٢) سورة الصف آية: ٨.

(٣) جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٨/٢/١٦م.

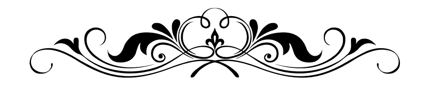
(٤) حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب ص٣٥٩ - ٣٦٠.

وهنا يكون من الواضح أن العلمانية - وإن كانت تستبعد الدين - إلا أنها لتجد في الدين المضاد حليفًا طبيعياً، يشاركها في العمل على تحطيم الدين الأصلي السائد، وهو دين الإسلام، وإذن فالعلمانية موظفة لدور تآمري ملوث.

إن العاملين في مجال تحطيم المسلمين والإسلام هنا، هم ثالوث متداخل الأركان: الاستعمار، والتبشير، والعلمانية، ثم انظر بعد تحت أي حذاء من أحذية هذا الثالوث، تجد مَن يسمون أنفسهم دعاة الإسلام الجديد.

وقد استجاب لهذا الثالوث الطامعون في السلطة، واستجاب لها السذج الجاهلون، الذين حسبوها علاجًا لهذا الشرق الإسلامي من تخلفه وعدم نهوضه، وبقي أن ينهض العالمون الصادقون ليفضحوا المخطط الأثيم للقضاء على الإسلام والمسلمين.

بقي أن ينهض العالمون الصادقون؛ ليقوموا بما قام به من قبل نبيهم ورسولهم "صلى الله عليه وسلم"، فهم خلفاؤه على ميراثه، وهم الأمناء على رسالته، وهم أمل الأمة الباقي بعد أن تردى غيرهم وسقط في الشراك.



المطلب الرابع

في مجال الأسرة والأخلاق

وتدريجياً يخف الرجوع إلى التراث الإسلامي، والمصادر الإسلامية، ويتجه الاعتماد على ما للغرب من ثقافة وتشريع، وتخطيط في البحث والتعليم، وبذلك يضعف استقلال المجتمعات الإسلامية، بينما تشتد تبعيتها لصاحب القوة في التوجيه، وصاحب المصلحة في إضعاف استقلال المجتمعات الإسلامية.

وقوة معاول الهدم تحت تأثير العلمانية، يوجهها القوي صاحب المصلحة في إضعاف المسلمين اليوم إلى "الأحوال الشخصية"، تحت ستار "تحرير المرأة"، وقد نالت هذه المعاول فعلاً من هدم هذا الركن الباقي علميًا في المجتمعات الإسلامية، فألغي تعدد الزوجات أو قيده بما يخرجه عن كونه "رخصة"، ويجعله مصدر ضرر، وقيدت ولاية الرجل على المرأة بما يسلب هذه الولاية منه عند خروج الزوجة إلى العمل خارج المنزل، فلها وحدها حق اختيار العمل، وحق الخروج إليه دون حاجة إلى إذن الزوج، رغم عدم الحاجة إلى إذنه فإنه هو ملزم بالإنفاق عليها، ولو كان عملها لا يتم إلا بالاختلاط مع غير المحارم، ولو كان عملها بالليل، أو على حساب رعاية الأولاد.

ودفع حركة تحرير المرأة كما يقول الدكتور "محمد البهي" إلى الخروج من المسار الإسلامي الصحيح، ليس عن طريق العلمانية وحدها، وإنما عن طريق الصليبية الدولية، والإلحاد العلمي كذلك، فلا بأس من أن تعين المرأة

سفيرة، ورئيسة لبعض أجهزة الإعلام الرئيسية، ورئيسة مجلس إدارة لهيئة من هيئات النشر الحكومية... وهلم جرا، ولا بأن تتبنى في تلك الوظائف الرئيسية: الدعوة بقوة إلى تحديد النسل، وإلى أن تمكن البنت من حريتها - كما يقال - في اختيار الزوج، وإن خالف رأي الوالدين في الأسرة، وإن خالف جميع التقاليد التي تجعل من الأسرة وحدة متماسكة.[1]

وقد رفع هذا الشعار "تحرير المرأة" بقصد اجتذاب المرأة المسلمة، واستخدامها حربًا على دينها، وأول من أوصى به أحد مؤتمرات التبشير، وكان الهدف يومئذ تنصير المرأة المسلمة، ثم تبعهم المستشرقون، وتبعهم من تلقوا العلم والمعرفة على أيديهم، وهم من شرقنا الإسلامي كثير، وعلى رأسهم "قاسم أمين".

إن العلمانية وهي تتذرع بالحرية لا تعنيها الحرية في شيء، وإنما يعنيها إبعاد الدين عن الحياة: "فقضايا المرأة التي يتعمدون إثارتها بين الحين والحين ليظهروا بمظهر المدافعين عن المرأة، المحبين لمصلحتها فزوبعة في فنجان، فنسبة الطلاق في البلاد الإسلامية ضئيلة، ونسبة التعدد أشد ضآلة، بما لا يصح أن يرتفع الصوت معها كأنها مشكلة أو قضية، وإن كانت هناك قضية أو مشكلة فهم سببها، حين تسببوا بوسائل إعلامهم في تصديع البيوت، وفي إثارة المشاكل، وحين تسببوا بدعاوي المساواة العريضة في أن لا يكون للبيت قوامة، وأن يكون فيه رئيسان: الرجل، والمرأة، ورئيسان في مركب واحد يغرقانه - كما هو المثل - ثم حين ساندوا، وساعدوا انحلال الأخلاق،

(١) الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، د. محمد البهي، ص٨ - ١٩.

وانفلتت من قيود الدين، فلم يعد الرجل يخشى الله في المرأة، ولم تعد المرأة تخشى الله في الرجل، فدب الخلاف والشقاق، والحل ليس تحرراً من الدين، أو مزيدًا من التحرر، وإنما عودة إلى الدين، والتزام بضوابطه وأخلاقه، تصير المشكلة محلولة.[1] وقد صدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[2].

والمرأة المسلمة قد سبقت غيرها من النساء، فعرفت واجبها، وعرفت حقها، وكانت لها الشخصية القانونية المستقلة، فماذا يعني التحرر أو التحرير بعدما أعطاها الإسلام ما لم يعطها نظام آخر؟

قالوا: إنه يعني تحريرها من بيتها، وتحريرها من زيها.

قلنا: بماذا يخدمهم تحريرها من بيتها، وتحريرها من زيها؟ المرأة بلا شك نصف المجتمع، وهي نصف خطير؛ لأنه يؤدي رسالة خطيرة وإن غفل عنها الكثيرون، إن الذين يتخرجون من المدارس والجامعات يمكن تعدادهم، ويمكن أن يوجد غيرهم لم يتخرجوا من هذه أو تلك، أما الجامعة التي لا بد أن يتخرج منها كل مسلم، بل كل إنسان، فهي الأم، فإن صلحت صلح خريجوها، وإن فسدت فسد خريجوها، وتحرير المرأة من بيتها يعني إغلاق هذه الجامعة.

وإذا كانت هذه هي الجامعة الأولى التي خرجت من قبل الأجيال العظيمة، التي حملت إلينا الإسلام، بل حملته للدنيا كلها، فإن إغلاق هذه

---

(١) قراءة في فكر النخبة، محمد حامد ص٥٦/٥٧.

(٢) الرعد آية: ١١.

الجامعة يعني انعدام الخريجين من ذلك الطراز، ويعني غلبة الخرجين من طراز آخر، ولقد رأينا في عصرنا بداية الثمار، رأينا ممن تسلطوا على فكر هذه الأمة، بل وعلى سلطانها، من كانت أم راقصة في نادي ليلي، وأخرى تعمل في الغناء، وليس بين الاثنين اختلاف كبير.

أما ماذا يعني تحريرها من زيها، فإنه يعني كشف ما أمر الله أن يستر، وهتك ما أمر الله أن يصان، يعني عرضاً رخيصاً، لسلعة غالية صانها ربها، وصانها الإسلام، يعني إثارة اللحم والدم، وهو أمر لا يستطيع أن ينكره إلا غبي أو متغابٍ، وهذا التحرر يترتب عليه نتائج خطيرة، أولها انحلال المجتمع، وسقوطه بسقوط قيمه وأخلاقه ومثله"[١]

هذا من ناحية الأسرة أما من ناحية الأخلاق:

فلقد جاء الإسلام بمكارم الأخلاق، وحث عليها، لأن الأخلاق هي التي ينضبط بها المجتمع، وهي الميزان الذي يتعامل به الناس، وبغيرها يتحول إلى غابة، ومن ثم كان استمداد الأخلاق من قانون السماء المنزل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي يضمن القدسية للأخلاق بين الناس وبين المجتمعات.

ولكن العلمانية أبت إلا أن تستمد أخلاقها من من غير الدين "فالعلمانية ترفض أن تكون المرجعية لأي شخص ديني أو أي، ولا يقبل فيها أي مبدأ ديني ثابت حاسم كعامل مؤثر في تنظيم الأخلاق، والحقيقة هي أن الأخلاق العلمانية قائمة على عناصر من الأخلاق الطبيعية المحضة لا صلة لها

(١) انظر: قراءة في فكر النخبة، محمد حامد ص٥٤

بالدين"[١].

وما دامت الأخلاق بمعزل عن الدين فالإنسان حر في كل شيء، ولكل عصر أخلاقه، فالمجتمع هو الذي يصيغ الأخلاق ويعتبرها، ومن ثم " فليس هناك قيم مطلقة لا تاريخية.

فما كان ممنوعا بالأمس ليس بالضرورة أن يكون ممنوعا الآن.

فالشذوذ الجنسي أو زنا المحارم لا ترى العلمانية به بأسا إذا كان بالتراضي، لأنه ممارسة للحرية المطلقة التي ما جاءت العلمانية إلا لتحقيقها.

ونظام الإرث نظام إقطاعي استغلالي للمرأة يجب تجاوزه. وكل القيود والأحكام الشرعية المتعلقة بالمحرمات كالصور الخليعة والأفلام الجنسية الماجنة، وتبرج المرأة والخلوة بها اعتداء على الحرية الشخصية للأفراد في نظر العلمانية.

وبالجملة تربط الأخلاق بالتاريخ والزمن لا بالثوابت"[٢].

وهكذا تصبح العلمانية خطرا وشرا يطارد المجتمعات، لا تستطيع له مقاومة، وعلى هذا بنت العلمانية أخلاقها، وتغلغت في المجتمعات الإسلامية، تنشر الفساد الانحلال، وتروج للفواحش والفساد، مستغلة الإعلام ووسائله في ضرب كل حصون المجتمع المتسربل بالدين.

---

(١) انظر: العلمانية مذهباً (دراسات نقدية في الأسس والمرتكزات) ، مهدي أميدي ص٢٠٦،ط مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط الأولى ٢٠١٤م.

(٢) العلمانية - المفهوم والمظاهر والأسباب، أ. مصطفى باحُو السلاوي المغربي ص٥٥/٥٦، ط جريدة السبيل، المغرب، ط الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

المطلب الخامس

رواد الفكر العِلماني في الشرق الإسلامي

لم يقتصر دور نشر الفكر العلماني في الشرق الإسلامي على الاستعمار وحده، بل ابتلي العالم الإسلامي بشرذمة من المفكرين، الذين تربوا في البلاد الغربية، ورضعوا ألبانها، وتتلمذوا على أساتذة من المبشرين وغيرهم، فأراد هؤلاء وضع خطة شاملة لغزو الفكر الإسلامي، وساعدوا على نشر الإلحاد الذي ورثوه عن الغرب بين أبناء المسلمين، فقد أرادوا بما كتبوه من كتب ومقالات إبعاد المسلمين عن الإسلام شكلاً وموضوعًا، فمن حيث الشكل أرادوا من المسلمين نبذ عاداتهم، وترك أخلاقهم وأزيائهم، ولقد أرادوا أن يكون المثل الأعلى هو إدراك ركب الحضارة الأوربية بما فيها من خير أو شر، ومن هؤلاء: "مصطفى كمال" الشهير بأتاتورك في تركيا، و"رفاعة رافع الطهطاوي"، و"طه حسين"، و"سلامة موسى"، و"علي عبد الرازق"، و"فؤاد زكريا" في مصر.

وهؤلاء منهم من حمل العلمانية عن قصد قناعة منهم بأنها طريق التقدم، أو عمالة منهم لحساب أعداء الله، يأخذون مقابلها المناصب والأموال، أو حملوها عن غير قصد، عفوا منهم كما يحمل الجسد الصحيح الجرثومة دون أن يحس أنه يحمل جرثومة ينقلها ليبتلى بها غيره من الأجساد الضعيفة أو قليلة المناعة، بل لقد كانوا هم الجرثومة التي أمرضت مجتمعاتهم.

ونكتفي هنا بمثالين:

١ - مصطفى كمال أتاتورك[١] :

بعد سقوط السلطان "عبد الحميد" تولت حركة الاتحاديين السلطة في تركيا حتى عام ١٩١٦م، الذي شهد تحولاً خطيرًا في تاريخ تركيا الإسلامية، وبعد الحرب العالمية الأولى بدأت صفحة جديدة في تاريخ تركيا، حيث سار مصطفى كمال أتاتورك نحو علمنة المجتمع خطوات كبيرة، بادئًا بإحلال الحروف اللاتينية محل العربية، وإحلال القانون السويسري محل قانون الأحوال الشخصية، منهياً هذا بإنهاء الخلافة الإسلامية، وإعلان العلمانية رسمياً في تركيا عام ١٩٢٤م.[٢]

ولم يقف جهد "أتاتورك" وجماعته عند فصل الدين عن الدولة، ولكن الأمر تجاوز تعطيل الشريعة إلى محاولة قطع كل الروابط التي تصل الأتراك بالإسلام، فقد تحولت الخلافة إلى دائرة صغيرة تابعة إلى وزارة الداخلية للشئون الدينية، وأغلقت كل مدارس التعليم الديني، وكل التكايا والزوايا والأضرحة، ومقار الطرق الصوفية، وألغيت أعياد الفطر والأضحى لعدة سنوات، ومنع أداء فريضة الحج، ومنع الآذان باللغة العربية، حيث أصبح يؤذن بالتركية، واستمر هذا الوضع حتى سنة ١٩٥٠م، أي بعد وفاة أتاتورك،

---

(١) مصطفى كمال أتاتورك مؤسس تركيا الحديثة، ولد في "سالونيك" عام ١٨٨١م تمكن من طرد القوات اليونانية من الأراضي التركية التي كانت قد احتلتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى، كما ألغى الخلافة الإسلامية العثمانية وأصبح رئيساً لجمهورية تركيا، وأدخل الحروف اللاتينية في اللغة التركية بدلاً من الحروف العربية، توفي عام ١٩٣٨م (انظر: موسوعة السياسة، د. عبد الوهاب الكيالي ١/٢٧) .

(٢) اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار، أنور الجندي، ط: دار الاعتصام، ١٩٧٨م.

وطرحت فكرة ترجمة القرآن بالتركية لتكون الصلاة به، ولكن لم يكتب لهذا الاقتراح أن ينفذ، وألغيت عطلة الجمعة، واستبدل بها الأحد، ومنع الحجاب، فضلاً عن أن القانون المدني كان قد منع تعدد الزوجات، وأباح زواج المسلمة بغير المسلم، وصدر قانون يمنع ارتداء الطربوش، الذي عد رمز الانتماء للدولة الإسلامية، وتم استبداله بالقبعة التي كان الناس يعتبرونها لباس أهل الكفر؛ لأن حافة القبة تحول دون السجود في الصلاة... وكانت الذروة في جنون "أتاتورك" للالتحاق بالغرب، والتعلق به أن طلب وهو على فراش المرض - قبل وفاته - من السفير البريطاني في أنقرة أن يخلفه في حكم تركيا.[(١)]

وهكذا جعل أتاتورك العلمانية في كل ربوع الدولة، وقضى على أغلب المظاهر الإسلامية لها، ظناً منه أن سبب التأخر للدولة هي المبادئ الإسلامية.

٢ - سلامة موسى[(٢)] :

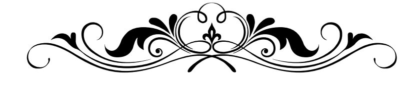
ومن هؤلاء المروجين للعلمانية "سلامة موسى"، الذي عرف بعدائه للإسلام والعروبة، فبعد أن تربى على العمالة والغزو الفكري، حمل معول

(١) حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب، يحيى هاشم ص٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) سلامة موسى: كاتب مصري مسيحي ولد عام ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧م ولد في قرية كفر العفي بقرب الزقازيق، وتعلم بالزقازيق وباريس ولندن، ودعا إلى الفرعونية، جحد الديانات في شبابه وعاد إلى الكنيسة في سن الاربعين، وأصدر مجلة (المستقبل) قبل الحرب العامة الاولى وتعطلت بسبب الحرب، وصنف وترجم ما يزيد على ٤٠ كتاباً، توفي عام ١٣٧٨ه الموافق ١٩٥٨م (انظر: الأعلام للزركلي ١٠٧/٣) .

الهدم والتخريب لتدمير تراثنا الإسلامي وعقيدتنا الصافية، وقيمنا الرفيعة، ومن أقواله التي تؤكد عداءه للإسلام والعروبة: "نحن في حاجة إلى ثقافة حرة، أبعد ما تكون عن الأديان"، ويقول: "يجب علينا أن نخرج من آسيا، وأن نلتحق بأوربا، فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوربا زاد حبي لها وتعلقي بها، زاد شعوري بأنها مني وأنا منها، هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سراً وجهراً، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب".[1]

هذا هو رأي "سلامة موسى"، ذلك المروج للعلمانية، وليس هذا بغريب عليه؛ لأنه تربى في أحضان المدارس التبشيرية، التي أنشأها النشاط التبشيري الكنسي في البلاد الإسلامية.



(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد حسين ٢/٢١٤.

المبحث الرابع

موقف الإسلام من العلمانية

لقد جاء خاتما لما سبقه من رسالات تدعو إلى توحيد الله جَلَّجَلَالُهُ، فجاء شاملاً لكل جوانب الحياة لا يستثني منها شيئاً، وجاء منظماً لجميع شؤونها، وشاملاً لكل حياة الإنسان من قبل مولده وحتى بعد وفاته، وهو لا يكتفي بأن يقام في ناحية ويترك في الأخرى، لأنه عام وشامل، فهو عقيدة وشريعة واخلاق.

"ف الإسلام جاء عقيدة تنظم علاقة الناس بربهم، وشريعة تدير جميع شئون الحياة كلها، والدين عند الله تعالى هو الإسلام، والإسلام كما يدلُّ عليه اسمه هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك.

وقد شملت أوامر الله ونواهيه الحياة بأسرها، فليس هناك جانب من جوانب الحياة أو شيء من نظمها إلا ولله تعالى فيه حكم، فحياتنا العقدية، والاجتماعية، والتربوية والاقتصادية، والسياسية، وضع لنا أصول التعامل فيها، وفصل لنا بعض جوانبها تفصيلاً"(١).

أما العلمانية فلا تعرف ديناً ولا نصاً، في أي مجال وإنما ديدنها ما يرتضيه المجتمع وما يخضع لهوى الأفراد الذين يعيشون فيه، إن العلمانية تختلف مع الإسلام في جذورها وفي أسسها وفي مبادئها يقول الشيخ جاد

---

(١) بحث بعنوان" العلمانية وموقف الإسلام منها" لحمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٥ - السنة ٣٤ -١٤٢٢ هـ

الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر ـ رحمه الله ـ ومن ذلك:

أولاً: أنها مذهب من مذاهب الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة، يدعو إلى عزل الدين عن ان يكون إطاراً وضابطا في النشاط الدنيوي للإنسان.. فيفك الارتباط، ويفصم العلاقة بين الشريعة الإلهية، وبين الدولة والسياسة، والاجتماع والاقتصاد والسلوك.. أي يعزل الدين عن الدنيا، وذلك باستثناء خصوصيات العقائد والشعائر التعبدية.

ثانياً: هذه العلمانية نشأت في الغرب ـ إبان نهضته الحديثة ـ كرد فعل لحكم الكنيسة وتحكمها.. فجاءت العلمانية كرد فعل لهذا التحكم.

وفي ضوء هذه الحقيقة حقيقة النشأة الغربية للعلمانية، كثمرة غربية لملابسات غربية، تأتي مشروعية التساؤل عن احتياجات المجتمعات الإسلامية للعلمانية"[1].

ليس في الإسلام شيء ناقص حتى تكمله العلمانية، وليس هناك حكر على الفكر ولا على العلم كالمجتمع الغربي ـ إبان ظهور العلمانية ـ حتى يحتاج العقل المسلم إلى تحرير، وإلى فصل بين العلم والدين.

إن الإسلام هو دين العلم وهو دين العقل والفكر، فالعقل في الإسلام هو " رب أسرة من الملكات والمواهب منها: التفكر، والتدبر، والتذكر، والتبصر، وما من ملكة من هذه الملكات إلا وقد أثارها القرآن، وألح عليها في الإثارة، وهاجها، وأيقظها من سباتها، ودعاها وكرر دعوتها للنظر والتأمل

---

(١) الإسلام وقضايا العصر (الأزهر والعلمانية) تقديم د. محمد عمارة ص٦٥،٦٤، ط روابط للنشر، القاهرة، ٢٠١٨م.

في حقيقة الإيمان ودلائله، ولذلك أصبح مألوفًا، بل وسمة من سمات البيان القرآني أن تكون فواصل آياته: (يتفكرون أو تتفكرون)، و(يتذكرون أو تذكرون)، ومن التدبر ورد قوله تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1].

فالإسلام هو دين العقل والملكات، والمواهب العقلية والفكرية والنفسية، وهو أحيانًا يتدخل في صميم "العملية التفكيرية"، فيرسم طريقتها ومنهجها، ونرى ذلك واضحًا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾[2].

هذا هو منهج الإسلام في إثارة ملكات الإدراك، والتمييز، فكيف كان سيكون صراع بينه وبين العقل لو كان الإسلام هو الذي ساد أوربا في عصورها الوسطى، إن الإسلام يحتضن العقل، ويجعله مناط التكليف والمسئولية، ورأي العقل في الإسلام مصدر من مصادر المعرفة، وليس هو مصدر المعرفة الوحيد"[3].

ومن ثم فلم يقف الإسلام ضد العقل، وإنما فتح المجال واسعاً أمامه يستكشف الكون بإذن الله، ويخدم قضية الإيمان، فكيف يصح بعد ذلك ان يقال: أن الإسلام يعادي العقل؟ أو يقال: إن الإسلام في حاجة للعلمانية؟

---

(١) سورة محمد آية: ٢٤.

(٢) سورة سبأ آية: ٤٦.

(٣) الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، د. عبد العظيم المطعني ص ٩٢/٩١، ط مكتبة وهبة، ط ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

فهذا قول باطل ومردود.

وكم فتح الإسلام الباب واسعاً أمام العقل كذلك حث على العلم والتعلم "ومنزلة العلم في الإسلام كمنزلة العقل فيه، فلا يضيق الإسلام بالعلم ولا بالعلماء، كما لم يضيق بالعقل ولا بالعقلاء، ومن يتصور أن الإسلام يضيق بالعقل أو العلم، أو يعادي واحداً منهما، فقد جهل حقيقة الإسلام، وأفتى بغير علم، ولا فرق في الإسلام بين علم وعلم، فكل المعارف والعلوم يتلقاها الإسلام بسعة صدر، ورحابة أفق، وليست هذه وحدها هي علاقة الإسلام بالعلم والعلماء، بل إن الإسلام يستنهض كل همم العلماء، ويلفت أنظارها نحو ملكوت الله أرضًا، وسماءً، وفضاءً، وما يتصل بكل ذلك من مظاهر الكون وأسراره وأعاجيبه"(١).

لقد حث الإسلام على العلم النافع للبشرية بكل السبل، وهذا ما يظهر من نصوص دستوره "ففي القرآن الكريم آيات أكثر من أن تحصى تحث على العلم وتشيد به، وتجعل معرفة السنن الكونية والقوانين الطبيعية أدلة شاهدة وثابتة على قدرة الله في الخلق وفي الإيجاد سبحانه وتعالى.

قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٢)، فبمقدار تعمق الإنسان في الجانب العلمي في صدق وإخلاص تكون خشية الله تعالى، ذلك لأن المتعمق يرى من سنن الكون ومن الإتقان في الصنع، ومن الحكمة

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٠.

(٢) سورة فاطر من الآية:٢٨.

في التدبير ما يجعله ساجدًا لمبدعه وخالقه"[1].

إن النظرة البسيطة للقرآن الكريم وما ورد فيه من نصوص تحث على العلم والتعلم لتبين بأدنى شك أنه "ليس في الوجود كتاب دعا إلى العلوم والمعارف، وأشاد بفضل العلم والعلماء كما دعا القرآن الحكيم وأشاد، ومما يجب لفت الأنظار إليه أن أول جملة ابتدأ بها القرآن نزوله، هي دعوة صريحة إلى تحصيل العلوم والمعارف، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾، والقراءة مفتاح العلوم في كل عصر ومصر، ولم تخل أمة من الحضارة قديمًا ولا حديثًا إلا ولها نظام في فن الكتابة والقراءة، وعن طريق تسجيل تلك الحضارات وقفت الأمم اللاحقة على حضارات الأمم الغابرة.

وإن كانت القراءة هي أهم مفاتيح العلوم فإن قوله تعالى ﴿ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ بعد قوله ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ يعتبر تقييدًا ووصفًا للعلم الذي يحث عليه الإسلام، ويفضل المحققين له، فالقراءة التي تكون باسم الله، هي القراءة المثمرة النافعة، لبني الإنسان، ولكل كائن، أي أن الإسلام يوظف العلم لخدمة الحياة، لا لتدمير الحياة، لسعادة الأحياء لا لشقائهم، للإضافات الحسنة لا لبث المخاوف والقلاقل.

ودعوى القرآن إلى العلم لا يحصرها المقام هنا، ولكننا نكتفي منها بما يوضح المراد، وأسمى قيمة، وأغلى غاية في هذه الحياة أن يخشى الإنسان ربه وخالقه، وهذه الغاية النبيلة يجعلها الله وقفًا على العلماء فيقول: ﴿ إِنَّمَا

---

(١) أضواء على الثقافة الاسلامية، د. نادية شريف العمري ص٢٣٣.

يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1]، وفي نفي المساواة بين العلماء والجهلاء يقول: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ومن الأدعية التي علمناها القرآن قول الحق سبحانه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3].

فالإسلام هو دين العلم كما كان دين العقل، وإذا كان الإسلام يقدر العقل المهذب المعصوم بالوحي، دون العقل الجامح المشتط، فإنه كذلك يقدر العلم المهذب الذي يسخر لخدمة الحياة ويضيف إليها إضافات حسنة، دون العلم الذي يغتر به صاحبه، ويوجهه وجهة منحرفة"[4].

ومن هنا يتين بأنه ليس في الإسلام مثل غيره من عداء للعلم والعلماء، أو أن هناك محظور على العلم والعقل "فالفرق بين الإسلام في نظرته إلى العلم، وبين الكنيسة في عدائها للعلم فرق كبير، ولو كان الإسلام هو الذي واجه ما واجهته الكنيسة في الغرب في أيام محنتها لما حدث شيء مما حدث أمام الكنيسة؛ لأن الإسلام يحتضن العلم، وينمي موارده، ولا يضيق به كما ضاقت به الكنيسة، والكنيسة إنما ضاقت بالعقل والعلم؛ لأن كل ما كان لديها كانت تخشى عليه من العقل والعلم معاً، كان لديها من العقائد ورسوم

---

(١) فاطر آية: ٢٨.

(٢) الزمر آية: ٩.

(٣) طه آية: ١١٤.

(٤) الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، د. عبد العظيم المطعني ص ١٠١.

العبادات ما تخشى عليه من العقل، فعادت العقل، وكان لديها من المعارف عن بعض ظواهر الكون ما تخشى عليه من العلم فعادت العلم.

أما الإسلام فلم يكن لديه، ولا يكون لديه من العقائد والمعارف ما يخشى عليه من العقل والعلم، ولذلك كان الإسلام سينتصر على ما انهزمت أمامه الكنيسة في أيام محنتها المؤسفة، فالنظريات العلمية التي توصل إليها "برونو" و"جاليليو" و"نيوتن"، وهزت كيان الكنيسة، وزلزلت عرشها لمجيئها مخالفة للفكر والاعتقاد الكنسي، تلك النظريات يرحب بها الإسلام، ويستقبلها فاتحًا لها ذراعيه.[1]

إن العلمانية بمعيار الإسلام دعوة مرفوضة؛ لأنها دعوة إلى حكم الجاهلية، أي إلى الحكم بما وضع الناس لا بما أنزل الله، وإذا لم يحكم المجتمع بما أنزل الله سقط في حكم الجاهلية، وهو ما حذر الله منه رسوله والمؤمنين من بعده حين قال: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.[2]

" إن الإسلام وحي إلهي معصوم، وكل خارج عليه خارج على العصمة، أما الأفكار والنظريات العلمانية فإنها اختراع بشري، من اختراعات اليهود،

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٢.

(٢) المائدة آية: ٤٩ – ٥٠.

الذين دينهم وشعارهم إفساد الإنسان، دينًا، وتشريعًا، وأخلاقًا.[1]

إن ما عرف في أوربا بسم الحكم "الثيوقراطي" أو الحكومة الإلهية، أمر لم يوجد في المجتمعات الإسلامية، ولن يوجد فيها، فإذا كان لرجال الدين في أوربا في القرون الوسطى ما عُرف باسم "الحق الإلهي"، الذي يخوّل لهم التصرف في الناس، وفي التشريعات، وفي أمور الحلال والحرام، ثم يقولون: إن هذا من الله، وبالتالي كانوا يملكون صكوك الغفران والحرمان، كما قاموا بسجن أو حرق مَن بَحَث في علوم الطبيعة، أو غيرها من العلوم التجريبية، فإن كل ذلك لا وجود له في الإسلام، فهو لا يخوِّل أحدًا من الناس في هذه الخصائص أو غيرها، كما أنه لا يفوِّض أشخاصًا بأعيانهم لتولي السلطة في الأرض، أو لممارسة السلطة الدينية على الناس، بل إن القرآن الكريم قد نزل لإبطال هذه المغالطات المنسوبة إلى الدين وإلى الله تبارك وتعالى، فقد أعلن ذلك إلى الناس جميعًا، قال تعالى:﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2].

إن تأدية بعض الزعماء للصوم والصلاة في النظم العلمانية، ليس معناه أن هذه النظم لا تتعارض مع الدين؛ لأن التعارض بين الدين والعلمانية يكون فيما يتعلق بالتشريعات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية؛ لأن العلمانية لا تعني إنكار وجود الله والديانات كما هو الحال في الشيوعية.

إن المنهج الإسلامي هو المنهج الوحيد الذي يتحرر فيه الإنسان من

---

(١) مقالات عن الإسلام والشيوعية، د. عبد الحليم محمود ص٨، ط: دار المعارف.

(٢) آل عمران آية: ٦٤.

العبودية للإنسان، ففي المنهج العلماني الوضعي يتعبد الناس؛ لأن التشريع من خصائص الألوهية الذي يشرع لمجموعة من الناس، يأخذ فيهم مكان الألوهية، ويستخدم خصائصها، فهم عبيده لا عبيد الله، وهم في دينه لا في دين الله؛ ولذلك نعى القرآن الكريم على اليهود والنصارى أنهم اتبعوا أحبارهم ورهبانهم في تشريعاتهم الوضعية فقال جل من قائل:﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[1].

وهم لم يكونوا يعتقدون في ألوهية الأحبار والرهبان، إنما كانوا فقط يعترفون لهم بحق التشريع، ويقبلون منهم ما يشرعون لهم مما لم يأذن به الله، ومن هنا وصفتهم الآيات بالشرك والعبودية لهم.

وليس هناك التقاء بين طبيعة الإسلام وحضارته، وبين طبيعة المسيحية وحضارتها الغربية في هذا الميدان، ميدان الواقع الذي جعل للعلمانية حلاً مقبولاً في المسيحية، في حين يرى الإسلام أن العلمانية شذوذ مرفوض، وأن الدعوة إليها تتجاوز في الغرابة والشذوذ كونها مجرد تقليد للغرب وتبعية لحضارته، واستعارة حل ليست له في واقعنا مشكلة تستدعيه، تتجاوز هذه الدعوة في الغرابة والشذوذ هذا النطاق لتصبح عدواناً على الدين الإسلامي، الذي أجمع العلماء على أنه عقيدة وشريعة، ودين ودولة، وليس مجرد رسالة روحية، فالدولة في ظل الإسلام لا يستقيم أن تكون علمانية بحال من

(١) التوبة آية: ٣١.

الأحوال.

" وإذا كانت النهضة الأوربية قد اقترنت بالعلمانية، بل وارتكزت عليها بعد أن اقترن انحطاطها بهيمنة الكنيسة على الدولة والمجتمع، فإن مسيرة الحضارة الإسلامية على العكس من ذلك، فقد اقترنت النهضة العربية الإسلامية بهيمنة الشريعة الإسلامية على الدولة الإسلامية، على حين كان الانحراف عن إسلامية القانون بداية طريق أمتنا إلى عصور الجمود والانحطاط.[1]

إن فكرة العلمانية والدعوة إليها وافد غربي، لم ينشأ في البيئة الإسلامية، وهذا الوافد قد أتى مع حركة الاستعمار الأجنبي لبلاد الإسلام، وكان أداة لها، فحاول الاستعمار جاهدًا إبعاد أبناء المسلمين عن دينهم بما يملكه من أساليب الخداع والمغالطة والتضليل التي تعتمدها العلمانية، والواجب على كل مسلم غيور على دينه أن يتصدى لمثل هذه الأفكار الوافدة المستوردة، وأن يكشف ما بها من سم قبل أن يكتشف ما بها من دسم، وأن يتنبه لألاعيب الاستعمار، وما يزينه من أفكار وآراء تحت اسم الحضارة والرقي؛ مما جعل كثيرًا من أبناء العروبة والإسلام يقعون في شباكها.

يجب أن نتصدى جميعًا لهذا التيار الهدام بكل الوسائل الفكرية والعلمية؛ لأن وجود العلمانية في بلادنا الإسلامية يعني في أحد جوانبه الخطيرة استمرار التبعية السياسية، والعسكرية، والاقتصادية للغرب؛ ذلك لأن التخلص من هذه التبعيات لا يمكن أن يتم إلا بالتخلص من التبعية

---

(١) العلمانية ونهضتنا الحديثة، د. محمد عمارة ص٢٨ - ٢٩، ط: دار الشروق.

الحضارية، تلك التبعية التي تكرسها العلمانية "وهذا الهدف لا نستطيع بلوغه دون أن نحتمي بالإسلام ونتشبث به، فالمسألة ليست تدينًا فقط، ولكنها أيضًا خلاصاً حضارياً نسعى إليه لنعيش ذواتنا بغير مسخ أو تشويه". وكما يقول الأستاذ "فهمي هويدي" في تعقيبه: "هذا منطق يجسد الحقيقة الغائبة، ودورها في بعث الظاهرة الإسلامية، ورسوخ قدمها في زماننا، في العالم الإسلامي قاطبة، وفي العالم العربي على وجه الخصوص، فإن أية دعوة صادقة للخلاص لا بد وأن تفسح مكاناً للإسلام باعتباره وعاءً حضارياً لهذه الأمة، وحده كفيل بالحلول دون انسحاقها أو تبعيتها، فلكي تعيش مستقلاً حقاً، فلا بد أن تسترد هويتك.[1]

من هنا يتبين أن الإسلام يرفض العلمانية، ولا يلتقي معها في مبادئها أو أهدافها، فهو وحي إلهي متكامل، يدعو إلى العلم ويحترم العقل، فلا حاجة للمنهج الكامل أن يستعير شيئاً من منهج ناقص، تؤسسه أهواء البشر أينما كانت.

وإلى هنا نستطيع أن نقرر أن العلمانية لا مكان لها في مصرنا الحبيبة، ولا في ديار العروبة والإسلام، بأي منطق، أو بأي معيار، لا بمعيار الدين، ولا بمعيار المصلحة، ولا بمعيار الديمقراطية، ولا بمعيار الأصالة، وأن الشبهات التي أثارها العلمانيون لا تقوم على ساق وقدم.

---

(١) حقيقة العلمانية، ص٤٠٠ - ٤٠١.

الخاتمة

الحمد لله الذي به تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله ومن اقتدى به وسار على نهجه إلى يوم الدين.

فهـــذه خاتمة أذكر فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات - بعد بذل الوسع والطاقة بفضل الله تعالى وحمده - حتى يخرج هذا البحث في صورةٍ طيبةٍ - سائلاً المولى جَلَّجَلَالُهُ أن يجنبني الخطأ والزلل -:

أولاً: أن العلمانية ترفض الأديان ولا تتقيد بها، فمهوم العلمانية يعني ما ليس دينياً، بل وهو نظام يرفض كل ما هو ديني.

ثانياً: أن نشأة العلمانية جاءت لظروف في المجتمع الغربي مثل تحريف الكنيسة للدين، وطغيان رجال الكنيسة، حتى وصل بهم الأمر لإصدار صكوك للغفران، كذلك محاكم التفتيش التي تحكمت حتى في التفكير.

ثالثاً: أن العلمانية مرت بمرحلتين، حيث كانت معتدلة في المرحلة الأولى وتطرفت في المرحلة الثانية.

رابعاً: أن العوامل التي ساعدت على انتقال العلمانية للمجتمعات الإسلامية تمثلت في نهضة أوربا مع العلمانية مما نتج عنه الإعجاب بالعلمانية والانبهار بها، وتخلف المجتمعات الإسلامية، والاستعمار العسكري وما أعقبه من سقوط الخلافة، والهزيمة النفسية لدى المسلمين، وكذلك الغزو الفكري والاستعمار الأوربي للمجتمعات الإسلامية.

خامساً: أن وسائل نقل العلمانية إلى بلاد الإسلام تمثلت في

المستشرقين، وفي المبشرين وفي المبعوثين والناقلين للفكر الغربي من أبناء المسلمين.

سادساً: من مجالات نشر العلمانية في المجتمعات الإسلامية والتي كان لها أبلغ الأثر عليها علمنة التعليم والقانون والإعلام، وكذلك الأسرة والأخلاق.

سابعاً: أن الإسلام يرفض العلمانية، ولا يلتقي معها في مبادئها أو أهدافها، فهو وحي إلهي متكامل، يدعو إلى العلم ويحترم العقل، فلا حاجة للمنهج الكامل أن يستعير شيئاً من منهج ناقص، تؤسسه أهواء البشر أينما كانت.

وأخيرًا أسأل الله تعالى أن يجعل لأمتنا نوراً تمشي به في الظلمات، وفرقانًا تميز به بين المتشابهات، ومنارًا يهدينا من التيه في مفترق الطرقات، وأن يجعل قولنا وعملنا خالصًا لوجهه الكريم ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾[1].



(١) آل عمران، آية: ٨.

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم جل من أنزله.

١. أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري ص٧، ط دار الفرقان - الدار البيضاء بالمغرب-، ط الأولى ١٩٩٧م.

٢. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد حسين، ط دار الرسالة، بيروت، ط التاسعة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٣. أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، د. محمد رشاد عبد العزيز، ط دار المحدثين للبحث العلمي، القاهرة، ط الثانية ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٤. أثر مدرسة القضاء الشرعي على الفكر الإسلامي المعاصر، محمد عبد الوهاب غانم، ط دار المقاصد، ط الأولى ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.

٥. أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حسن حبنكة ، دار القلم، دمشق، ط الثامنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٦. أديان ومذاهب معاصرة، د عبد العزيز تمام يوسف، ط دار المنار الإسلامية ١٩٨٩م.

٧. الإسلام في مواجهة الأيديلوجيات المعاصرة، د. عبد العظيم المطعني، ط: السعادة، ١٩٨٧م.

٨. الإسلام والتيارات الفكرية المعاصرة، د. عابد منصور، ط: الأمانة - القاهرة، ١٩٩٣م.

٩. الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ط دار الفرقان، مصر.

١٠. الإسلام وقضايا العصر (الأزهر والعلمانية) تقديم د. محمد عمارة ، ط روابط للنشر، القاهرة، ٢٠١٨م.

١١. الإسلام وقضايا العصر، د ابراهيم الدبو وآخرون، ط دار المأمون ، عمان، ط الثانية ١٤٣٣هـ٢٠١٢م.

١٢. أضواء على الثقافة الاسلامية، د. نادية شريف العمري، ط مؤسسة الرسالة، ط التاسعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٣. الأعلام للزركلي ط: دار العلم للملايين، ط الخامسة ١٩٨٠
١٤. أفكار ورجال، تأليف: جرين برنتن، ترجمة: محمد محمود، ط: القاهرة.
١٥. تاريخ ابن خلدون المسمى "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر" للعلامة عبد الرحمن بن خلدون، ط دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان.
١٦. تهافت العلماء في الصحافة العربية، المستشار سالم علي البهنساوي، ط:٢، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ١٩٩٢م.
١٧. جذور البلاء، عبد الله التل ـ ط المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
١٨. جذور العلمانية (الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية في مصر منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨م) د. السيد أحمد فرج، ط: دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٨٥م.
١٩. حضارة الإسلام، جوستاف جرونيباوم، ترجمة: عبد العزيز جاويد، ط مكتبة مصر، القاهرة.
٢٠. حقيقة العِلمانية بين الخرافة والتخريب، د. يحيى هاشم فرغل، ط: دار الصابوني ١٩٨٩م.
٢١. دورية سلسلة الدفاع الاجتماعي التي تصدرها المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة - العدد التاسع - وهو بعنوان: الآثار السلبية لمشاهد العنف والإجرام في التليفزيون والسينما على السلوك الإنساني.
٢٢. ذيل الأعلام، أحمد العلاونة، ط دار المنارة، جدة، ط الأولى ١٩٩٨م.
٢٣. سقوط العلمانية، أ / أنور الجندي، ط: دار الكتاب اللبناني - بيروت.
٢٤. عصر الإلحاد محمد الندوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع.
٢٥. العلمانية - المفهوم والمظاهر والأسباب، أ. مصطفى باحُّو السلاوي المغربي ، ط جريدة السبيل، المغرب، ط الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

٢٦. العلمانية (نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ط مطابع جامعة أم القرى، ط الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٢٧. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د عبد الوهاب المسيرى ط دار الشروق، ط الأولى ١٤٢٣ / ٢٠٠٢م.
٢٨. العلمانية بين الغرب والإسلام، د / محمد عمارة دار الوفاء – المنصورة.
٢٩. العلمانية مذهباً (دراسات نقدية في الأسس والمرتكزات)، مهدي أميدي، ط مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط الأولى ٢٠١٤م.
٣٠. العلمانية نشأتها وتطورها فى الحياة الإسلامية المعاصرة سفر الحوالى، ط جامعة أم القرى، مكة. ط أولى.
٣١. العلمانية والإسلام د. محمد البهى، هدية مجلة الأزهر ١٤١٥هـ.
٣٢. العلمانية وموقف الإسلام منها" لحمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٥ – السنة ٣٤ -١٤٢٢ هـ
٣٣. العلمانية ونهضتنا الحديثة، د. محمد عمارة، ط: دار الشروق – القاهرة.
٣٤. العلمانية ونهضتنا الحديثة، د. محمد عمارة، ط: دار الشروق.
٣٥. الغزو الفكرى المفهوم والوسائل، نذير حمدان، ط مكتبة الصديق – القاهرة.
٣٦. قاموس المورد، منير البعلبكي ص٨٢٧، ط دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٧م.
٣٧. قراءة في فكر النخبة، محمد حامد، ط دار دروب، ط الأولى ٢٠١٩م.
٣٨. قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، د. توفيق الطويل ، ط الزهراء للإعلام العربي، ط الأولى١٤١٢هأ١٩٩١م.
٣٩. قصة الصراع بين الدين والفلسفة، د. توفيق الطويل، ط: النهضة العربية، ١٩٧٩م.
٤٠. كتب غيرت العالم، لمؤلفه روبرت، داونز، ترجمة: أمين سلامة، ط: القاهرة ١٩٧٧م.
٤١. الله أو الدمار، آ/ لطفي جمعة، ط: القاهرة ١٩٧٥م.
٤٢. مجالات انتشار العلمانية وأثرها على المجتمع المسلم، د. محمد زين الهادي، ط

دار العاصمة ـ الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
٤٣. محاضرات في النصرانية، الشيخ محمد أبو زهرة، ط: دار الفكر العربي، ١٩٨٢م.
٤٤. المسند للإمام أحمد بن حنبل ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون.
٤٥. معالم تاريخ الإنسانية، تأليف ويلز، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة.
٤٦. معجم اللغة العربية المعاصر، د. أحمد مختار عمر /ط عالم الكتب ط الأولى ١٤٢٩- ٢٠٠٨م.
٤٧. معجم المصطلحات الجغرافية، د. يوسف تونى. دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٧م.
٤٨. المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
٤٩. مقارنة الأديان د. أحمد شلبي، المسيحية، ط: النهضة المصرية.
٥٠. مقالات عن الإسلام والشيوعية، د. عبد الحليم محمود، ط: دار المعارف.
٥١. مناهج البحث العلمي، د. عبد الفتاح محمد العيسوي و د. عبد الرحمن محمد العيسوي ص٢٤٣، ط دار الراتب الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٦م.
٥٢. المنجد الأبجدي – ط دار المشرق، بيروت ، ط الخامسة ١٩٨٦م.
٥٣. المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، المنعقد في عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، بالمدينة المنورة، منددًا بحال الإعلام في البلاد الإسلامية.
٥٤. الموسوعة العربية العالمية، ط مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط الثانية١٤١٩هـ
٥٥. الموسوعة العربية العالمية مجموعة من المحررين ،تحت رعاية الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود ١/ ٥٧٨، ط مؤسسة أعمال الموسوعة، ط الثانية.
٥٦. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د/ مانع بن حماد الجهنى ط دار الندوة العالمية للطباعة ط الثالثة ١٤١٨هـ.
٥٧. اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار، أنور الجندي، ط: دار الاعتصام، ١٩٧٨م.

Sources and references

*** Al-Quran Alkarim jala min 'anzalahi.

1. Abjadiaat Albahth Aleilmiu fi Aleulum Alshareiati, Farid Al'ansari sa7, Dar Alfurqan - Aldar Albayda' bialmaghribi-, No. first,1997.
2. Alaitijahat Alwataniat fi Al'adab Almueasir , Dr. Mohamed Husain, Dar Alrisalati, Beirut, No., 9 1413h 1992.
3. Athar Alfikr Aleilmanii fi Almujtamae Al'islami, Dr. Mohamed Rashad Abd Aleaziz, Dar Almuhdithin lilbahth Aleilmi, Alqahirat, No. 2 1431h 2010.
4. Athar Madrasat Alqada' Alsharei ala Alfikr Al'islami Almueasir, Mohamed Abd Alwahab Ghanim, Dar Almaqasidi, No.1,1439h 2018.
5. Ajnihat almakr althalathati, Abd Alrahman Hasan Habankat , dar alqalami, Dimashq, No.3, 1420 h- 2000.
6. Adyan wamadhahib mueasarat, Dr. Abd Aleaziz Tamam Yusif, dar almanar al'islamiat 1989.
7. Al'islam fi muajahat al'aydilujiat almueasirat , Dr. Abd Aleazim Almateani, No.6, 1987.
8. Al'islam waltayarat alfikriat almueasirat, Dr. Abed Mansur, al'amanat - Alqahirat, 1993.
9. Al'islam walhadarat algharbiatu, Mohamed Mohamed Husain, dar alfirqan, masr.
10. Al'islam waqadaya aleasr (al'azhar walealmaniatu) taqdim Dr. Mohamed Amarat , rawabit lilnashri, Alqahirat, 2018.
11. Al'islam waqadaya aleasr, Dr. Ibrahim Aldibu wakhrun, dar almamun, Amman, No.6, 1433h/2012.
12. Adwa' ala althaqafat alaslamiati, Dr. Nadiat Sharif Alamri, muasasat alrisalati, No.9, 1422h - 2001.
13. Al'aelam lilzirikalii, dar aleilm lilmalayini, No.5, 1980
14. Afkar warijal , talifu: Green Brintin, tarjamat: Mohamed Mahmud, alqahirati.

15. Tarikh abn khaldun almusamaa "aleibar wadiwan almubtada walkhabar fi 'ayaam alearab waleajam walbarbar waman easarahum min dhawi alsultan alakbir" lilealamat Abd Alrahman bin Khaldun, dar ahya' alturath alearabi, Beirut - Lebanon.
16. Tahafut aleulama' fi alsahafat alearabiat , almustashar salim Ali Albahinsawi, No.5, dar alwafa' liltibaeat walnashr waltawzie - almansurat, 1992.
17. Judhur albala'i, Abd Allah Altali, almaktab al'islamiu, Beirut, No.2, 1408 h - 1988.
18. Judhur aleilmania (aljudhur altarikhiat lilsirae bayn alealmaniat wal'islamiat fi Misr mundh albidayat wahataa eam 1948) Dr. Alsayid Ahmad Farju, , dar alwafa' liltibaeat walnashr 1985.
19. Hadarat al'islami, Gustav Jrunibawum, tarjamatu: abd aleaziz jawid, maktabat masr, Alqahrat.
20. Haqiqat Aleilmanyt bayn alkhurafat waltakhribi, Dr. Yahya Hashim Firghala, dar alsabuni 1989.
21. Duriat silsilat aldifae alaijtimaei, almunazamat alearabiat lildifae alaijtimaeii dida aljarimat - No.2, Aluathar Alsalbiat limashahid aleunf wal'iijram fi altilifizyun walsiynima ealaa alsuluk al'iinsani.
22. Dhil al'aelami, 'ahmad alealawinat, dar almanarati, jidat, No. 1,1998.
23. Suqut aleilmaniat , Anwar Aljundi, dar alkitab allubnani - Beirut.
24. Asr al'ilhad Mohamed Alnadwi, dar alsahwat lilnashr waltawziei.
25. Alealmaniat - almafhum walmazahir wal'asbabi, 'a. mustafaa bahhu alsalawii almaghribii , t jaridat alsabil, almaghribi, No. 1,1432 h- 2011.

26. Alealmania (nasha'atuha watatawuruha watharuha fi alhayat al'iislamiat almueasirati, safar bin eabd alrahman alhawali, t matabie jamieat 'ami alquraa, No. 1,1402h 1982.
27. Alealmaniat aljuzyiyat waleilmaniat alshaamilatu, Dr. Abd Alwahab Almusayri, dar alshuruq, No. 1,1423 / 2002.
28 .Alealmaniat bayn algharb wal'islami, Dr. Mohamed Amarat, dar alwafa' - Almansura .
29. Alealmaniat mdhhbaan (dirasat naqdiat fi al'usus walmurtakazati), Mahdi Amidi, markaz alhadarat litanmiat alfikr al'iislamii, Beirut, No. 1,2014.
30. Alealmaniat nash'ataha watatawuruha faa alhayat al'iislamiat almueasirat Safr Alhawalaa, jamieat 'umi alqura, Maca. No. 1.
31. Alealmaniat wal'iislam Dr. Mohamed Albuhaa, hadiat majalat al'azhar 1415h.
32. Alealmaniat wamawqif al'islam minha" liHmud bin Ahmad bin Faraj Alruhayli, aljamieat aliaslamiat bialmadinat almunawarati, No.115 - alsanat 34 -1422 h
33. Alealmaniat wanahadatuna alhadithatu, Dr. Mohamed Amarat, , dar alshuruq - alqahirati.
34. Alealmaniat wanahadatuna alhadithatu, Dr. Mohamed Amarat, dar alshuruqi.
35. Alghazw alfikraa almafhum walwasayila, Nadhir Hamdan, maktabat alsidiyq - Alqahirat.
36. Qamus almurdi, Munir Albaelabakiy, dar aleilm lilmalayin Beirut 1977.
37. Qira'at fi fikr alnukhbati, Mohamed Hamid, dar drubi, No. 1,2019.
38. Qisat aliadtihad aldiynii fi almasihiat wal'iislami, Dr. Twfyq Altawil , alzahra' lil'ielam alearabi, al'uwla1412h/1991.
39. Qisat alsirae bayn aldiyn walfalsafati, Dr. Tawfiq Altawili, alnahdat alearabiati, 1979.
40. Katab ghiart alalam, Robert , Dawnus, tarjamat: Amin

Salamat, Alqahirat 1977.
41. Allah 'aw aldamar , Lutfi Jumat, Alqahirat 1975.
42. Mijalat antishar alealmaniat wa'atharuha ala almujtamae almuslimi, Dr. Mohamed Zayn Alhadi, dar aleasimat Alreyad, No. first,1409h.
43. Muhadirat fi alnasraniat , alshaykh Mohamed Abu Zahrat , dar alfikr alarbi, 1982.
44. Almusnad lil'imam Ahmad bin Hanbal, muasasat alrisalat Beirut, No.2,1420h 1999, tahqiq Shueayb Al'arnawuwt wakhrun.
45. Maealim tarikh al'iinsaniat , wilz, tarjamat Abd Alaziz Twfiq Jawid, lajnat altalif waltarjamat walnashr - Alqahirat.
46. Maejam allughat alearabiat almueasiru, Dr. Ahmad Mukhtar Umar / alam alkutub No. first,1429- 2008.
47. Maejam almustalahat aljughrafiati, Dr. Yusuf Tuna. dar alfikr alearba, Alqahirat 1997.
48. Almuejam alwasiti, Ibrahim Mustafa / Ahmad Alzayat / Hamid Abd Alqadir Mohamed Alnajar, dar alnashra: dar aldaewati, tahqiq: Majmae allughat alearabiati.
49. Muqaranat al'adyan Dr. Ahmad Shalbi, almasihiati, alnahdat almisriati.
50. Maqalat ean al'iislam walshuyueiat , Dr. eabd alhalim mahmud , ta: dar almaearifi.
51. Manahij albahth aleilmi, Dr. Abd Alfatah Mohamed Aleisawi w Dr. Abd Alrahman Mohamed Aleaysawi, 243, dar alratib aljamieiati, al'iskandariat 1996.
52. Dlmunjid al'abjadiu - dar almushriqa, Beirut , alkhamisat 1986.
53. Almutamar alealami litawjih aldaewat wa'iedad aldueat , Almuneaqad fi am 1397h/1977, bialmadinat almunawarati, mnddan bihal al'ielam fi albilad al'islamiati.
54. Almawsueat alearabiat alealamiat, muasasat,emal

almawsueati, Alriyad, althaniatu1419h.

55. Almawsueat alarabiat alealamiat majmueat min almuharirin ,tahat rieayat Al'amir Sultan bin Abd Aleaziz al Sueud 1/ 578, muasasat 'aemal almawsueati, althaaniati.
56. Almawsueat almuyasarat fi al'adyan walmadhahib wal'ahzab almueasirati, Dr. Manie bin Hamad aljahna, dar alnadwat alealamiat liltibat, althalithat 1418h.
57. Aliqazat al'islamiat fi muajahat aliastiemar, Anwar aljundi, dar aliaetisami, 1978

